Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 2 | Page 1 – 29 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

تكوين المادة والكائنات، للعلامة السلطان/ صالح بن غالب القعيطي رحمه الله (دراسة وتحقيق).

The Formation of Matter and Beings for the Scholar, the Sultan: Saleh bin Ghaleb Al_Quaiti - may God have mercy on him: Study and Investigation

منى سعيد سالم بادويحة

باحثة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– "جامعة صنعاء– اليمن

Mona Saeed Salem Badwiha

Researcher - Faculty of Arts &Humanities
Sana'a University -Yemen

الملخص:

يهدف البحث إلى التَّعريف بالسُّلطان صالح القعيطي من خلال كتابه:" الآيات البيِّنات على وجود خالق الكائنات." وإبرازه كعلم من أعلام اليمن ومن فضلاء حضرموت وسلاطينهم؛ فقد كان متعمِّق في الأخذ مِنَ العلومِ والاستفادةِ منها كما تشهد بذلك مؤلفاته المتنوِّعة، كما أنَّ لكتابه هذا قيمة علميَّة وخصائص متفرِّدة، فقد سعى إلى الجمع بين طريقة المتكلِّمين وطريقة المفسِّرين آخذًا من كل طريقة محاسنها؛ حيث عرض الكتاب بأسلوب بديع يدلُّ على سعة علمه واطلاعه وفهمه للمسائل، فكان ذلك دافعًا لي إلى المساهمة في إثراء المكتبة الإسلاميَّة بإخراج هذا الكتاب في أحسن صورة يمكن الاستفادة منها، وإبراز جهود علمائنا الفضلاء.

وقد جاء البحث على قسمين: **القسم الأوَّل:** في دراسة المُؤلِّف والكتاب، تناولتُ فيه :التَّعريف بالمُؤلِّف وحياته، ثمَّ التَّعريف بالكتاب ومخطوطته ومصادر المُؤلِّف فيها، وبيان منهجيته في الأخذ منها، **القسم الثَّاني:** فقد تناولتُ فيه: النَّص المحقق (تكوين المادة والكائنات).

وختمتُ البحث بالتَّوصية بالاهتمام بما تركه السُّلطان صالح _رحمه الله_ من مخزون علمي، والاعتناء بإخراجه لتقف عليه الأجيال، وتعرف مكانته العلمية، والتَّوصية بدراسة حياته التي قضاها في الهند قبل توليه الحكم، فلعلَّها المرحلة التي اشتغل فيها بالطَّلب والتَّحصيل، والتي يظهر أثرها في كتاباته ومشواره العلمي.

الكلمات المفتاحية: المادة، الكائنات، الكون، الهيولي ، القعيطي.

Abstract:

The purpose of the paper is to identify the Sultan Saleh Al-Quaiti via his book "Evidences Verses on Existence of Beings Creator" and to acknowledge him as one of Yemen's noteworthy figures as well as one of the good people of Hadhramaut and their Sultans. His numerous papers demonstrate how profoundly he was able to draw from and profit from the sciences. Additionally, this work of his has special qualities and scientific worth. Taking the best aspects of both approaches, he tried to blend the theologian's and the interpreter's methods. His masterful presentation of the book showcases his depth of knowledge and comprehension of the subjects. The researcher is motivated to contribute to the enrichment of the Islamic library by advocating for the publication of Sultan Saleh's book in a format that maximizes its utility, thereby acknowledging the invaluable contributions of our esteemed scholars. This paper is structured into two sections: the first section provides a biographical account of the author and his seminal work, while the second section delves into an analysis of the book "The Formation of Matter and Beings". It recommends a comprehensive examination of Sultan Saleh's scientific legacy and urges for the preservation and dissemination of his works to ensure that future generations can access and benefit from his insights. Additionally, the paper recommends a thorough study of Sultan Saleh's life during his time in India prior to assuming leadership roles.

Keywords: Matter , Beings , Universe , Hyle, Al-Quaiti.

المقدمة:

لقد كان لعلماء اليمن نصيبًا وافرًا في خدمة الدِّين عامَّة، وعلم أصول الدِّين خاصَّة، وقد صنَّفوا فيه المصنّفات المطوَّلة والمتوسطة والمختصرة، وكان لهم مخطوطات شتّى منها هذا المخطوط القيّم، وقد وفَّقنا الله تعالى إلى تحقيق ودراسة المخطوط المعنون بـ (الآيات البينات على وجود خالق الكائنات) تأليف:

العلَّامة السُّلطان صالح بن غالب القعيطي _رحمه الله_، في دراسة الدكتوراه بجامعة صنعاء، وهذا البحث "تكوين المادة والكائنات" جزء منه، نسأل الله التوفيق والسَّداد، وأن يتقبَّله خالصًا لوجهه.

مشكلة البحث:

الحاجة الماسة إلى إخراج التُّراث العلمي إلى النَّور، للاستفادة منه عن طريق التَّحقيق العلمي، والتَّعريف بأصحاب التُّراث، ولا سيما المغمورين منهم، مثل السُلطان صالح القعيطي _رحمه الله_، ومعرفة (اسمه ومولده ونشأته وأسرته ووفاته وشيوخه ومؤلفاته)، ومن هذا الإشكال تتفرَّع عدة أسئلة، وهي:

1. 1من هو السُّلطان صالح بن غالب القعيطي؟.
2. كيف كانت حياته الشخصية والعملية؟.
3. ماهي المادة، وما ماهيتها؟.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1-إبراز علم من علماء اليمن(حضرموت)، والتَّعريف بهم وبجهدهم العلمي.

2- تحقيق وإخراج نموذج من كتاب "الآيات البيِّنات" محققًا، في صورة أقرب إلى ما أراده المؤلف، من خلال الرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها في التَّأليف، حتى يسهل على القارئ الاستفادة منه.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1-مكانة المؤلف العلمية كونه أحد علماء وسلاطين حضرموت.

2-أهمية هذا **الموضوع** في بابه، والتقرب إلى الله ﷻ بخدمة عقيدتنا الإسلامية.

3-قيمة المخطوط ووفرة مادته العلمية، وتنوّع مصادره.

أسباب اختيار الموضوع:

1_حرص قسم الدراسات الإسلامية على طلاب الدراسات العليا –الدكتوراه– أن تكون الرسائل المقدمة منهم تحقيق ودراسة للمخطوطات اليمنية؛ إسهامًا في نشر التراث الإسلامي عامة واليمني خاصة.

2_التقرب إلى الله تعالى بخدمة العقيدة الإسلامية.

3_كثرة الفوائد الواردة في الكتاب.

4_الإسهام في إيجاد بحث علمي يتناول هذا الموضوع بالدراسة من رؤية شرعية، وإثراء المكتبة الإسلامية به.

منهج البحث:

سلكتُ بعون الله تعالى في إعداد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الوقوف على المصادر والمراجع التي عنت بهذا الموضوع، ومنهجي في التوثيق على النحو الآتي:

1_كتبتُ النَّص من المخطوط كتابة سليمة خالية من التَّحريف، وفق قواعد الإملاء الحديثة مع مراعاة علامات الترقيم.

2-عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها بعد نسخها من المصحف العثماني، وتوثيقها في درج النَّص.

3-أسندتُ الأقوال إلى قائليها فيما ورد عنهم من أقوال فيما يتعلق بالمادة وتكوينها.

4-بيَّنتُ معاني الألفاظ الغريبة، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة الأصيلة، وضبطتُ بعض الكلمات بالشَّكل؛ حتى يُزال اللبس والغموض.

5-ضبطتُ ما يحتاج إلى ضبط من الألفاظ الواردة في النَّص، بالرجوع إلى الكتب المعينة على ذلك.

6-ترجمتُ للأعلام ممن ذكرهم المؤلف ونقل عنهم، وتركتُ ترجمة بعض الأعلام الأجانب كوني لم أقف على مصادر تترجم لهم.

7-اكتفيتُ بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، حتى لا أثقل الهامش بمعلومات الكتاب.

هيكلة البحث:

لقد اقتضى البحث أن تقسَّم خطته إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينتُ فيها: مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وأسبابه، ومنهجه، وهيكلة البحث، وكانت مفردات هيكلة البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالعلَّامة السلطان صالح بن غالب القعيطي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده وأسرته.

المطلب الثاني: مؤلفات السلطان صالح وآثاره، ووفاته.

المبحث الثاني: اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف، ومنهجه فيه، ومصادره، ووصف مخطوطته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف.

المطلب الثاني: منهج المؤلف، ومصادره.

المطلب الثالث: وصف المخطوط، ونماذج منه.

المبحث الثالث: تحقيق النص.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة السلطان صالح بن غالب القعيطي _رحمه الله_

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده وأسرته:

أولًا: اسم المؤلف ونسبه، ومولده، وأسرته:

هو السُّلطان صالح بن غالب بن عوض بن عمر القعيطي اليافعي، سلطان الشِّحْر[1] والمُكلَّا[2]، ينسب إلى قبيلة يافع[3]، وهي أكبر قبائل حمير، وأشدها قوة، ويقال لهم بنو مالك أو اليوافع أو يافع وهو المشهور، وقد وُلِد في العقد العاشر من القرن الثالث عشر الهجري، بالهند في مدينة حيدر آباد الدكن[4]، وضبط الزركلي مولده بسنة 1295هـ، الموافق 1878م[5].

(1) الشِّحْر: بكسر أوله وسكون ثانيه هي ناحية بين عدن وعمان على ساحل بحر العرب. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (327/3).
(2) المُكلَّا: مدينة من مدن حضرموت باليمن جنوب جزيرة العرب على ساحل بحر العرب، ولعلها سميت بهذا الاسم؛ لأنه يطلق على مرفأ السفن كلاء ومكلاء؛ لأنه يكلأ السفن من الريح وذلك بحبس السفن فيه لحمايته. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي (13/ 254).
(3) يافع: أحد قبائل شبه جزيرة العرب، وذكر الحموي أن يافع موضع في اليمن، وإليها ينسب أبو بكر اليافعي اليمني، واليافعيّون هم الّذين حكموا بعض مناطق حضرموت إبّان فترة الفوضى، وكان قد استقدمهم في مطلع القرن الثّاني عشر الهجري السّلطان بدر بن محمّد المردوف الكثيري، المتوفّى سنة (1120 ه) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (426/5)، معالم تاريخ الجزيرة العربيّة، سعيد عوض باوزير، (265-266).
(4) حيدر آباد: مدينة هندية هامة، تقع جنوب الهند، وهي عاصمة ولاية أندرا براديش سابقًا قبل الانفصال، وعاصمة ولاية تلنقانا حاليًا، يبلغ عدد سكانها حوالي 6 مليون نسمة، وهي تعد سادس أكبر مدينة في الهند، وتم تنصنيفها على أنها المدينة الأولى من حيث أولوية التنمية بسبب حجمها وعدد سكانها، وعادة الكتَّاب عند ذكرهم لحيدر آباد الهند إضافة كلمة الدَّكن إليها؛ تعريفًا بها وتمييزًا لها عن مدينة حيدر آباد الواقعة في ولاية السند ضمن دولة باكستان. ملوك حيدر آباد تاريخ المملكة القطب شاهية في الهند، محمد سعيد الطريحي (186).
(5) الأعلام، للزركلي (194/3).

ثانيًا: نشأته، وصفاته، وطلبه للعلم:

لقد ولد ونشأ السلطان صالح ـ رحمه الله ـ في أسرة ثراءٍ ووجاهة، فأبوه السلطان غالب بن عوض[6] الذي تولى الحكم في حَضْرَمَوت[7] بعد وفاة أبيه السلطان عوض بن عمر[8] في عام 1328هـ[9]، وجده السلطان عوض بن عمر، كان صاحب ثراء ووجاهة في الهند، فهو الجمعدار[10]، والضابط في الجيش الهندي، ولذلك فقد حظي صاحب الترجمة بعناية كبيرة من والده وبمزيد محبة من جدِّه الذي كان يميزه على غيره من أفراد الأسرة.

وفي سن مبكرة التحق بالتدريب العسكري، وانضم إلى الجيش في حيدر آباد، ثم انصرف إلى التحصيل، والدرس، وأكبَّ على تلقي العلوم والمعارف، مستعينًا بكبار علماء عصره في الهند[11]، ومنهم السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب[12]، المتوفى سنة 1341هـ[13].

وقد كان صاحب موهبة فذَّة، استفاد بها من كل ما يصل إليه من كتب القدماء والمحدثين، حتى نال حظًا كبيرًا من العلوم، ولم يقتصر ولعه بالعلم على علوم الشريعة فحسب، بل راح يتتبع أنباء النهضة العلمية الحديثة، ويقرأ ويستوعب كل ما وصل إليه العلم الحديث من مكتشفات ومخترعات، بل ربما حاول بنفسه تطبيق بعض النَّظريات العلمية، وتجربة ما يدرسه من أصول الفن والصناعة، وكان كثيرًا ما يصلح بيده بعض الأجهزة والآلات، كالراديو والميكرفون[14]، كما كانت له خبرة في علوم الهندسة والجبر والجغرافيا وغيرها[15]، تؤكد ذلك مؤلفاته التي ألَّفها، والتي سيأتي ذكرها في موضعها من هذا البحث إن شاء الله.

وممَّا يدلُّ على اهتمامه بالعلم ووسائله أنه كان يتكلَّم إلى جانب لغته العربية، اللغات الهندية، والفارسية، والإنجليزية، والفرنسية[16].

(6) هو السلطان غالب بن عوض القعيطي، وكان الناس يلقبونه أبونا آدم، وأُطلق عليه أيضًا لقَب "غالب السَّادات"؛ لشدة محبَّته في السادة العلويين آل البيت النبوي، وكان يُعبر عن محبته لآل البيت بقوله: "ومحبة أهل البيت لا تُزول من قلوبنا بل تزداد بل تزداد"، توفي السلطان غالب بن عوض سنة 1340هـ، ودُفن بجانب أبيه بمقبرة أكبر شاه بحيدر أباد الدكن، ينظر: إدام القوت في ذكر بادان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (186).

(7) حَضْرَمَوت: بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وهي منطقة حارة غنية بالكنوز والمعادن، واختلف في سبب تسميتها، فقيل: نسبة إلى عامر بن قحطان الذي كان إذا حضر حربًا أكثر من القتل فصار يقال عند ضوره حضرموت، ويرى بعضهم: أنها لفظة مركبة تركيبًا مزجيًا، وقال بعضهم: إنها نسبة إلى البلدان المتحضرة التي عاشت في تلك الفترة في أمن واستقرار حول الأودية والأنهار في تلك المنطقة، وهكذا تباينت الآراء في تسمية حضرموت، وتقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب، أما حدودها المتداولة اليوم فهي ما بين الأحقاف شمالًا والبحر العربي جنوبًا، وما بين عين بامعبد غربًا وسيحوت شرقًا. ينظر: معجم البلدان، للحموي (270/2)، صفة جزيرة العرب، للهمداني (85)، في جنوب الجزيرة العربية، للبكري (35/1)، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ابن عبيد الله (7-9).

(8) وهو السلطان عوض بن عمر القعيطي، سلطان الشحر والمكلا، وهو أول من لُقِّب بالسلطان من أمراء العائلة القعيطية في حضرموت، الأعلام (94/5).

(9) إدام القوت، لابن عبيد الله (80).

(10) الجمعدار: هي رتبة عسكرية في جيش حيدر أباد بالهند، حيث كان يعمل في خدمة السلطان الأصفي هناك، ينظر: في سبيل الحكم، محمد عبد القادر بامطرف (111).

(11) صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد باوزير (244).

(12) أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين، باعلويّ الحسيني، من آل السقاف، فقيه له علم بالفنون، من أهل حضرموت، ولد بحصن "آل فاوقة" من قرى تريم عام (1262هـ- 1846م)، وطاف بلاد العرب وقصد الهند فسكن حيدر أباد الدكن، واتسعت شهرته في الهند وجاوة والملايو، بمحاربته البدع، وسلوكه طريق السلف الصالح وتوفي في حيدر أباد سنة (1341ه-1922م). له نحو ثلاثين كتابًا في الأصول والفقه والمنطق والطبيعة والكيمياء والفلك والحساب والأدب، منها: ذريعة الناهض، منظومة في الفرائض، وورشفة الصادي في مناقب بني الهادي، والترياق النافع بإيضاح جمع الجوامع، وسلالة آل باعلوي، وديوان شعر، وإقامة الحجة على ابن حجة في نقد بديعية ابن حجة الحموي، ونزهة الألباب في رياض الأنساب. ينظر: الأعلام، للزركلي (65/2).

(13) جهود فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي، محمد باذيب (1186/2).

(14) الشيخ القدَّال، معلم سوداني في حضرموت، القدَّال (138).

(15) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير (244-245).

(16) المصدر السابق (245).

وكان يملك مكتبة من أكبر المكتبات في جنوب الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وهي التي سمَّاها (المكتبة السُّلطانية)، حيث افتتحها في عام: 1941م، وجعلها مكتبة عامة، وقد حوت مجموعة من الكتب القيمة، دينية ولغوية وأدبية وتاريخية وسياسية واجتماعية وطبيعية، ثم عيَّن الشيخ عبد الله الناخبي[17] ناظرًا عليها[18]، ومن حبه للعلم وحرصه وشغفه به أن بلغ إنفاقه على المدارس _أي في ميزانية الدولة_ ما يوازي خُمس حاصل فُرْضَة المكلا _أي حاصلات ميناء المكلا_ بالتقريب كما يقول العلامة ابن عبيد الله[19][20].

صفاته: ذكر العلماء أن السُّلطان صالح _رحمه الله_ كان يتَّصف بحبِّه للعدل وبُعده عن الظلم، وكان صاحب عفوٍ شامل وحلمٍ واسع، كما وصفه العلَّامة ابن عبيد الله _رحمه الله_ [21] كما عُرِف منذ كان أميرًا بعلمه الغزير وأدبه الجم، ورغبته في الاصلاح[22]، متواضعًا بسيطًا في معاملته[23].

ثالثًا: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

لا يختلف اثنان أن السُّلطان صالح اشتهر بالسياسة والحكم، كما عُرف بالعلم وانتسابه إلى العلماء، لا سيما علوم الشَّريعة، وهذه ميزة تُميِّز صاحب التَّرجمة، أن جمع الله له بين الأمرين.

ومن يطَّلِع على كتبه ومؤلفاته يعرف مكانته العلمية، وغزارة علمه، التي دعت العلماء والأدباء والتربويين إلى الاعتراف بعلمه، والثناء عليه، حيث يقول العلامة ابن عبيد الله:[24] في سياق الكلام عن سلاطين الدولة القعيطية: وخلفه العلَّامة الجليل السُّلطان صالح بن غالب _رحمه الله_، وكان غزير المادة في العلم كما تشهد له بذلك مؤلفاته المنقطعة النظير[25].

وصفه صاحب الفكر والثقافة بقوله: "لا نعرف فيما قرأنا من تاريخ حضرموت ملِكًا قُوبِل عهده بمثل ما استقبل به عهد السُّلطان صالح من تفاؤل وأمل، وذلك أن السُّلطان كان معروفًا منذ كان أميرًا بعلمه الغزير، وأدبه الجم واطلاعه الواسع، على أحوال العالم الحديث وتطوراته وحبه لشعبه ورغبته في الإصلاح"[26].

وكذلك يقول الشيخ القدَّال باشا[27] هو الآخر ممن عاشر السُّلطان عن قرب، فقال عنه: رجل مهتم بكثير من العلوم الحديثة، وله مشاركة حسنة في علوم الهندسة الميكانيكية، وله إلمام واسع بعلوم العربية، وعلوم الدِّين، ويتكلَّم العربية، والإنجليزية، والأردية[28][29].

(17) هو الشيخ عبد الله بن أحمد بن محسن بن عبد الرب الناخبي، المعروف بصاحب المكلا، ولد في قرية حمحمة بوادي ذي ناخب من يافع السفلى، بين سنتي 1314 و1317ه، مؤرخ، وفقيه، وشاعر، وتربوي بارز، أسس عدة مدارس في حضرموت، قدم إلى منطقة تبالة شمالي الشِّحْر، برفقة والده سنة 1329ه، ثم انتقل إلى المكلا، تتلمذ على يد كثير من العلماء، منهم: العلامة سالم بن مبارك الكلالي، وعلوي بن عبد الرحمن المشهور، توفي في منتصف 2007م، ينظر: الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، للمترجم له (32)، ومعجم أعلام يافع، للسلفي (75).

(18) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير (245)، عهد السلطان صالح، باحمدان (86-87)، الشيخ القدَّال، القدَّال (137).

(19) هو عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن ابن علوي بن سقاف بن محمد بن عمر الصافي، السقاف العلويّ الحضرميّ، ولد سنة 1300هـ، وله مؤلفات كثيرة، أشهرها: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت وفيه نبذ من تاريخها الحديث، كان مهيأ للطبع، في مجلد ضخم، وبضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، توفي سنة 1375ه. ينظر: الأعلام، للزركلي (315/3).

(20) إدام القوت، ابن عبيد الله (58، 84-85).

(21) المصدر السابق (85).

(22) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، باوزير (170).

(23) تاريخ حضرموت السياسي، البكري (80/2).

(24) تقدمت ترجمته، ينظر هذه صفحة هامش رقم (19) من هذا البحث.

(25) إدام القوت، ابن عبيد الله (84).

(26) الفكر والثقافة، باوزير (170).

(27) هو الشيخ القدَّال سعيد القدَّال، ولد بمدينة القضارف بالسودان عام 1903م، بدأ تعلمه مبكرًا على والده، ثم انتقل إلى خلوة قرية الختمية، وقد بدأ تعليمه النظامي في مدرسة كسلا الأولية، ثم تخرج من مدرسة العرفاء بالخرطوم عام 1918م، استقدم إلى حضرموت عام 1939م، وكان عمره ستة وثلاثين عامًا، ليكون ناظرًا للمعارف، ومكث بها حتى عام 1957م، حين بلغ سن التقاعد. ينظر: الشيخ القدَّال معلم سوداني في حضرموت، للقدَّال (24-51).

(28) إحدى اللغات الهنديَّة وهي تكتب بالحروف العربيّة وتشمل ألفاظًا عربيّة وفارسيّة كثيرة، وهي السائدة في باكستان وبنجلادش وأجزاء من الهند، ينظر: تكملة المعاجم العربية، د. أحمد مختار (83/1).

(29) الشيخ القدَّال معلم سوداني في حضرموت، القدَّال (137).

رابعًا: رحلاته، وشيوخه، وتلاميذه:

سبق أن ذكرنا أن السُّلطان صالح _رحمه الله وُلد ونشأ في حيدر أباد بالهند، وبها كانت رحلته ومشواره مع العلم والطَّلب، وهذه المرحلة من حياته لم تأخذ حقها من التَّدوين التَّاريخي، بخلاف حياته في حضرموت، فقد اهتم بها المؤرخون المعاصرون له، ومن بعدهم، والمتتبِّع لكتب التاريخ التي ترجمت للسُّلطان صالح _رحمه الله_، لا يقف على تفصيل المشايخ، والمدارس التي أخذ عنها، ولا من أخذ عنه العلم، إلَّا ما يذكر على وجه التَّعميم، كما في عبارة الباحثين والمهتمين حيث يقولون: وأكبَّ على تلقي العلوم والمعارف، مستعينًا في ذلك بكبار علماء عصره في الهند، وما يذكر أيضًا من زيارة العلماء والأدباء ورجال الدين له، وما يحدث بينه وبينهم من محاورات علمية[30]، ومن مشايخه السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، كما سبق ذكره[31].

ويعتبر السُّلطان صالح _رحمه الله_ من المعجبين بالمدنية الحديثة، المتتبِّعين لأحداث التَّطورات، والمشجعين للاستفادة منها والاقتباس من كل صالح مفيد من آثارها[32]، ولكن هذا الحب لا يعني الذوبان والتخلِّي عن أصول دينه وأخلاقه، وتقاليده النافعة، لا سيما وهو أحد العلماء البارزين الواقفين على أسرار الدين الإسلامي، الواثقين من صلاحيته لحكم الحياة، وحل مشاكلها، وتلبية حاجاتها المتجددة، وللوقوف على آثار هذه المدنية ومظاهرها، قام برحلات عديدة لزيارة بلدان العالم، فزار كثيرًا من بلدان أوربا، كما زار تركيا ومصر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية، ومراكز النهضة في الهند، وزار الحجاز، والأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج[33].

المطلب الثاني: مؤلفات السلطان صالح وآثاره، ووفاته:

تنوَّعت مؤلفات السُّلطان صالح، وشملت علومًا شتى، وذلك لسعة اطلاعه، وتعدد ميولاته، فمنها ما كان في علوم الشَّريعة، ومنها ما كان في علوم الهندسة، والملاحة البحرية ونحوها، وهي على النحو الآتي:

أ. مؤلفاته:

أولًا: العلوم الشرعية:

*الآيات البينات على وجود خالق الكائنات[34].

*كتاب أصول الفقه[35].

*مصادر الأحكام الشرعية[36].

*مبحث في وجوب التعبد بالآحاد[37].

ثانيًا: علوم اللغة:

*تفسير مفردات القرآن الكريم، باللغة العربية والأردية[38].

وفي ذات السِّياق، فإن السلطان صالح _رحمه الله_ قد أوعز للشيخ عبد الله الناخبي، بوضع معجم للأسماك وقد كتب الشيخ الناخبي في ذلك مذكرة تضم زهاء (250) اسمًا[39]. ألَّف السلطان صالح كتابًا سُمّي (الرحلة السلطانية)، وهو عبارة عن تدوين للزيارة

(30) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير (244-245).
(31) ينظر صفحة (6) من هذا البحث.
(32) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير (245).
(33) المصدر السابق (245).
(34) وهو موضوع البحث.
(35) مخطوط في جزأين.
(36) مطبوع في ثلاثة أجزاء.
(37) مطبوع عام 1370ه، الموافق 1950م.
(38) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير(245)، الشيخ القدَّال، القدَّال (137). وهو أول معجم لغوي حضرمي، ترجم كلمات القرآن من اللغة العربية إلى الأردية.
(39) معجم أعلام يافع، د. سالم عبد الرب السلفي (156).

التي قام بها السلطان إلى دوعن[40]؛ لتفقد أوضاع رعيته هناك، وذلك في عام 1940م على الأقرب، وقد طُبع في إندونيسيا عام: 1370هـ، الموافق 1951م[41].

رابعًا: علوم الهندسة:

* الهندسة العملية للملاحة البحرية[42].

*الأسرار المنطوية في المثلثات المستوية[43].

خامسًا: علم الجبر:

وقد ألَّف فيه كتابًا سماه الطريقة الواضحة إلى الجبر والمقابلة[44].

ب. آثار المؤلف:

ومن آثار السلطان التي تستحق الإشارة، أنه أسس مكتبة عامة في المكلا (المكتبة السلطانية الشعبية)، وهي عبارة عن مكتبته الخاصة، التي ضمت كتبًا عديدة قيمة، حرص على طباعة جلّ مؤلفاته المتواجدة فيها، وآثر أن يستفيد منها العامة، وقد افتتحها في عام 1941م، وهي لا تزال قائمة عامرة إلى اليوم، كما فتح مكتبة علمية لأهل الشحر، حوت كتبًا من أمهات التفسير والفقه والحديث والأدب والشعر والروايات والمعلومات العامة، وقد افتتحها عام: 1944م، في سوق شبام بالشحر، إضافة إلى مكتبات أخرى، كمكتبة الطلبة للمدرسة الوسطى بالغَيْل(45). وغيرها[46]. يضاف إلى ذلك ما أنشأه من مدارس التعليم وتعبيد الطرق وإنشاء محطات البرق وغيرها.

وفاته: كانت وفاته _رحمه الله_ على إثر مرض أصابه فأجريت له جراحة في عظمة الفخذ، بمستشفى في عدن[47]، توفي على إثرها، ونقل جثمانه بالطائرة إلى المكلا، ودفن بمقبرة الشيخ يعقوب[48]، وكان ذلك في عام 1375هـ، الموافق 1956م[49].

المبحث الثاني: اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف، ومنهجه فيه، ومصادره، ووصف مخطوطته.

المطلب الأول: اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف السلطان صالح _رحمه الله_ :

نسخة الكتاب الذي بين يدي مكتوب عليها (الآيات البينات على وجود خالق الكائنات) تأليف السلطان صالح بن غالب، أثبته المفهرس لمكتبة الأحقاف للمخطوطات بـ "تريم"، حضرموت _اليمن_.

ويؤكِّد ذلك إجماع كتب التَّراجم، فكل من ترجم للسُّلطان صالح نسب هذا الكتاب له، منهم الأستاذ سعيد عوض باوزير، في كتابه "صفحات من التاريخ الحضرمي"، والدكتور محمد سعيد القدَّال في كتابه "الشيخ القدَّال باشا معلم سوداني في حضرموت"،

(40) دَوْعَنْ: هي بلاد في حضرموت جنوب اليمن، وتطلق على واديين بأعلى حضرموت يقال لأحدهما الأيمن، والآخر الأيسر، معجم البلدان، الحموي (541/2).
(41) الرحلة السلطانية، السلطان صالح، تقديم الجعيدي (7)، عهد السلطان صالح، باحمدان (95).
(42) ويقع مخطوط في مجلدين، موجود في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بـ (تَريم)، المجلد الأول يحمل رقم (2517)، والمجلد الثاني يحمل رقم (2518).
(43) لا يزال مخطوطًا، في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بـ (تَريْم)، برقم (2480).
(44) وهو لا يزال مخطوطًا بمكتبة الأحقاف بـ (تَريْم)، ويحمل رقم (2505).
(45) الغَيْل: وهي منطقة غيل باوزير، من مدن محافظة حضرموت، تقع شمال شحير، فيها عيون غزيرة جارية، عليها نخل كثير، وأكثر ما يزرع فيها التبغ، تنسب إلى الشيخ عبد الرحيم باوزير. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت (140).
(46) عهد السلطان صالح، لباحمدان (86-87).
(47) عَدَن: بالتحريك وآخره نون، هو من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به، وبذلك سميت عدن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن، رديئة لا ماء بها ولا مرعى، وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم، وهي مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة، والتجار يجتمعون إليه كذلك. ينظر: معجم البلدان (89/4)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة البقاع، عبد المؤمن عبد الحق (923/2).
(48) هو الشّيخ يعقوب بن يوسف باوزير، وهو آخر من وصل إليه العلم من أجداده المشايخ آل باوزير، وكانت وفاته بالمكلّا في سنة (553 هـ)، ويتعبر مقدّم تربة المكلّا، أي هو أشهر أو أقدم من قبر بها. ينظر: إدام القوت، ابن عبيد الله (122).
(49) الأعلام، للزركلي (194/3).

والأستاذ محمد سالم باحمدان في كتابه "عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي 1936م _1956م"، وآخرهم الدكتور سالم عبد الرب السلفي في كتابه "معجم أعلام يافع".

وهي نسخة مكتوبة بخط المؤلف _رحمه الله_، والذي يؤكد ذلك ما يأتي:

1- إن خط النسخة متوافق تمامًا من أوله إلى آخره.
2- إنه بالمقارنة بين خط النسخة وبين بعض الرسائل والمخاطبات باسم السلطان صالح، والتي صرَّح فيها بأنه كتبها بخط يده يظهر التطابق التام في الخط، مما يؤكد أن الناسخ هو المؤلف نفسه.
3- وجود بعض الإضافات في هوامش النسخة، ومثل هذا يستبعد أن يكون من ناسخ عادي، أو من تعليقات أحد آخر، كما أنها تدل على أن المؤلف كان يضيف إلى ما كتب توضيحًا، أو إكمالًا لنقص ونحو ذلك كما في اللوح 9، 32، 41 وغيرها.

المطلب الثاني: منهج المؤلف ومصادره:

أولاً: منهج المؤلف: أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعه المؤلف في تأليف كتابه: فإنه لم يكتب مقدمة تبيِّن منهجه، بل شرع مباشرة بعد بسم الله الرحمن الرحيم جرت العادة عند المتكلمين...، وبعدها استطرد في ذكر مسائل الكتاب، وقد استنبطتُ من خلال التتبع والاستقراء في كتابه أهم ملامح المنهج الذي اتبعه المؤلف في تأليفه للكتاب، وهي على النحو الآتي:

1- جميع النسخة كتبت بخط نسخي محدث.
2- يكتب عناوين الموضوعات بخط لا يختلف عن سائر النسخة، ولكنه يميزها بكتابتها في سطر مستقل، كما في عناوين الموضوعات في اللوح 15، 29، 30 وغيرها.
3- يحافظ على ترتيب الأسطر، بأن تنتهي محاذية لبعضها في غالب اللوحات.
4- يرمز للصلاة على النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم بـ(صلعم).
5- شرح بعض الكلمات الغامضة، والتعليق في الهامش على بعض المسائل، كما في اللوح: 41، 69 وغيرها.
6- إذا أراد أن يدرج كلمة أو جملة كتبها في الهوامش الجانبية للوحة وضع في المكان الذي يريد أن يجعل فيه الكلمة رقمًا، ورقمًا في الهامش كما في اللوحة 6، 32، وغيرها.

أما موضوعات الكتاب، فهي على النحو الآتي:

أولًا: ابتدأ بذكر الأمور المتعلقة بخلق الكائنات.
ثانيًا: عجز الإنسان عن إدراك حقيقة واجب الوجود.
ثالثًا: استدلال الحكماء والعلماء بوجود الكائنات على وجود البارئ.
رابعًا: مناهج الاستدلال على وجود مبدع الكائنات.
خامسًا: الاستدلال بالآيات القرآنية على وجود الخالق.
سادسًا: تكوين المادة والكائنات.
سابعًا: جسم الإنسان وأعضاؤه وما فيها من الأسرار.
ثامنًا: المشاعر الخمسة، وهي: (الشم، الذوق، اللمس، السمع، البصر).
تاسعًا: العلوم الطبيعية تثبت وجود البارئ.
عاشرًا: النفس والروح.

ثانيًا: مصادر المؤلف في كتابه الآيات البينات:

استعان المؤلف –رحمه الله– في كتابه بعد القرآن الكريم بمصادر كثيرة، وقد اختلف أسلوبه في العزو إليها، فتارة يعزو إلى الكتاب مع ذكر اسم المؤلف، وتارة يعزو إلى الكتاب فقط، وأخرى إلى المؤلف دون ذكر اسم الكتاب، وكثيرًا ما ينقل من مصادر دون الإشارة إليها، وسأذكر هنا المصادر التي صرَّح بالنقل منها مباشر، وأضيفُ إليها ما استطعت الوقوف عليه والتأكد من نقله منها، وهي كما يأتي:

1–مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، لفخر الدين الرازي، (المتوفى سنة 606هـ).

2–الجواهر في تفسير القرآن، لطنطاوي جوهري، (المتوفى سنة 1358هـ).

3–المعتبر في الحكمة، لابن ملكا البغدادي، (المتوفى سنة 560هـ).

4–مقاصد الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي، (المتوفى سنة 505هـ).

5–دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، (المتوفى سنة 1373هـ).

6–ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، لإسماعيل مظهر، (المتوفى سنة 1381هـ).

7–كشف الأسرار النورانية، لمحمد بن أحمد الإسكندراني، (المتوفى سنة 1306هـ).

8–المباحث المشرقية، لفخر الدين الرازي، (المتوفى سنة 606هـ).

9– كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة، لشدودي أسعد، (المتوفى سنة 1324هـ).

10–صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، لمحمد بيرم الخامس التونسي، (المتوفى سنة 1307هـ).

11–فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة، لأبي حامد الغزالي، (المتوفى سنة 505هـ).

12–المذهب الروحاني، لعبد الله أباحي، (المتوفى سنة 1327هـ).

المطلب الثالث: وصف المخطوط، ونماذج منه:

يتميَّز المخطوط الذي أنا بصدد تحقيقه بعدة سمات من أبرزها:

هي نسخة مكونة من جزء واحد، محفوظة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بـ (تريم)[50]، مفهرسة برقم: (2482)، وهي النسخة الوحيدة الموجودة بحسب علمي، عدد اللوحات فيها أربع وثمانون لوحًا، ذو وجهين عدا اللوح الأول والأخير فأنهما وجه واحد، مقاس اللوح (19×30) خمس وعشرون سطرًا على الأغلب، وعدد الكلمات في كل سطر ما يقارب (8 إلى 10) كلمات، وحجم الخط في الغالب متوسط، وهي مكتوبة بخط نسخي مُحدث جميل وواضح، وهو خط المؤلف، وأكثر حروفها منقوطة، حالة المخطوطة ممتازة بشكل عام، وخالية من النقص أو الطمس، سوى سقط يسير جدًا في بعض الكلمات والفِقرات، وقد كان النسخ للكتاب في عام 1941م، وقد أشار إلى ذلك في اللوح 82 من المخطوط، أي بعد توليه الحكم بست سنوات.

وهنا أمر لابدَّ من التَّنبيه عليه، وهو أن تحقيق المخطوطات من نسخة وحيدة أمر عظيم، إذ في تعدد

(50) تَرِيْمْ: بالفتح وكسر الراء وسكون التَّحتانية ثم ميم، مدينة قديمة بأرض حضرموت، يقال إن أول من عمَّرها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر، وقد خرج منها علماء فقهاء فضلاء ومشايخ أجلَّاء، ويقال هي إحدى مدينتي حضرموت؛ لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها شبام وتريم، وهما قبيلتان سمِّيت المدينتان بهما. ينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن عبد الحق (261/2)، إدام القوت، ابن عبيد الله السقاف (143-144).

النسخ خير معين على تسديد الخلل، وإكمال النقص، وتصحيح الخطأ والتصحيف الذي يقع بيد الناسخ، ولهذا فالأمر يتطلب من المحقق مراجعة المسألة في المصادر التي اعتمد عليها المصنف في مادته العلمية.

نماذج من المخطوط:

صورة الغلاف:

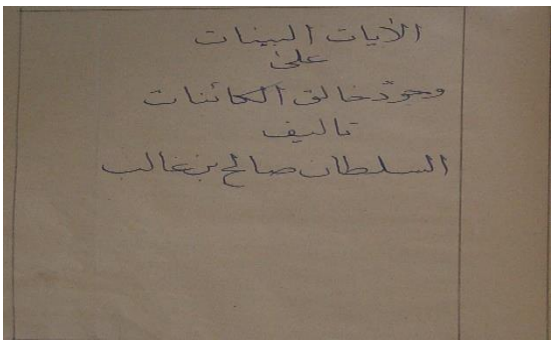

الصورة الأولى من المخطوط:

الصورة الأخيرة من المخطوط:

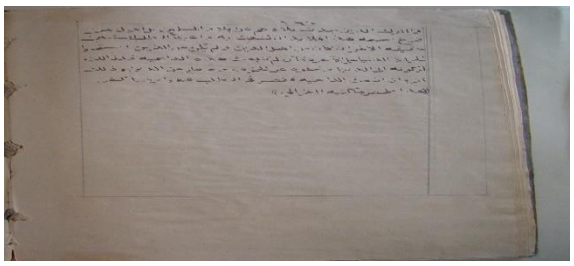

الصورة الأولى من النَّص المحقق:

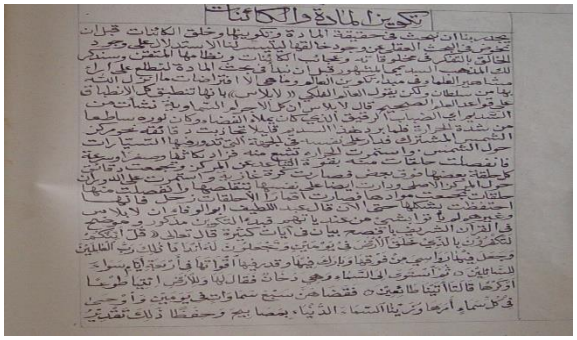

المبحث الثالث: تحقيق النص

تكوين المادة والكائنات:

يجدر بنا أن نبحث في حقيقة المادة وتكوينها، وخلق الكائنات قبل أن نخوض في البحث العقلي عن وجود خالقها ليتيسر لنا الاستدلال على وجود الخالق بالتفكر في مخلوقاته وعجائب الكائنات ونظامها المتقن، وسنذكر لك المذهب السَّديمي المشهور قبل أن نبدأ في بحث المادة لنطلع على آراء مشاهير العلماء في مبدأ تكوين العالم، وماهي إلَّا افتراضات ما أنزل الله بها من سلطان، ولكن يقول العالم الفلكي لابلاس[51]: "بأنها تنطبق كل الانطباق على قواعد العلم الصحيح قال لا بلاس: إن كل الأجرام السماوية نشأت من السديم[52] أي الضباب الرقيق الذي كان يملأ الفضاء وكان نوره ساطعًا من شدة الحرارة فلما برد هذا السديم قليلًا تجاذبت دقائقه نحو مركز الشمس المشترك فدار على نفسه في الجهة التي تدور فيها السيارات حول الشمس واستمرت الحرارة تشع منه فزاد تكاثفًا وصغرًا وسرعة فانفصلت حلقات منه بقوة التباعد عن المركز

(51) بيير سيمون دو لابلاس، ولد يوم 23 مارس 1749م، ببلدية بومونت أون أوج، إقليم كالفادوس منطقة النورمندي، وهو مهندس وعالم رياضيات، وعالم إحصاء وفيزيائي وعالم فلك فرنسي، لأعماله حول تطوير الرياضيات الفلكية فضل يستحق الثناء، لخص ووسع أعمال سابقيه في هذا المجال في مؤلفه المكون من خمسة مجلدات (ميكانيكا الأجرام السماوية)، أنشأ معادلة لابلاس وابتكر تحويل لابلاس والذي يستخدم الآن في كثير من مجالات الرياضيات والفيزياء والهندسة، يصنف لابلاس كأحد أعظم العلماء على الإطلاق، يطلق عليه أحيانًا نيوتن فرنسا، وذلك لتمكنه لحس رياضي عظيم لم يجاريه فيه أحد من معاصريه، حصل على لقب ال (كونت) للإمبراطورية الفرنسية الأولى عام 1806م، وتم منحه لقب (مركيز) عام 1817م، توفي في باريس سنة 1827م. ينظر: ثورية العلماء، هشام بشارة (219).

(52) السديم: سحابة من التراب والغاز في الفضاء، تستمد ضوءها من نجم قريب منها. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار (2037/3).

وتجمعت دقائق كل حلقة بعضها فوق بعض فصارت كرة غازية واستمرت على الدوران حول المركز الأصلي ودارت أيضًا على نفسها بتقلصها وانفصلت منها حلقات تجمعت موادها فصارت أقمارًا إلا حلقات زحل فإنها احتفظت بشكلها حتى الآن"[53] .

وأن لابلاس وغيرهم لم يأتوا بشيء من عندهم، فبدء التكوين مذكور وموضح في القرآن الشريف بأفصح بيان في آيات كثيرة[54]، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت: 9_ 12]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ﴾ [الأنبياء : 30]، وقال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، فسَّر الإمام البيضاوي[55] والفخر الرازي[56] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11]، أن الدخان هو مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي ركبت منها تلك المادة، لا يعني هو السديم، وإنما أوله بما ذكر؛ لأن دخان النار التي هي أحدى العناصر لم يكن موجودًا إذ ذاك، وكون السموات والأرض خُلقت في ستة أيام ومعناه ستة مقادير متساوية من الزمن[57]. ومعنى الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... إلخ ﴾ بموجب قول الحسن[58] وقتادة[59] وسعيد بن جبير[60] عن ابن عباس[61] ﷺ أن المعنى في

(53) ينظر: بسائط علم الفلك وصور السماء، يعقوب صروف (137).
(54) الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض، عبد اللطيف أبو الوفاء (14).
(55) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء (بفارس-قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيه، من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، يعرف بتفسير البيضاوي، و طوالع الأنوار في التوحيد، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ولب اللباب في علم الإعراب ونظام التواريخ، كتبه باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها، والغاية القصوى في دراية الفتوى في فقه الشافعية، توفي سنة 685هـ/1286م. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (131/7)، البداية والنهاية: (363/13)، بغية الوعاة، للسيوطي (50/2).
(56) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ولد في الري سنة (544ه/1150م) وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الريّ، من مؤلفاته: مفاتيح الغيب، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، المباحث المشرقية وغيرها، وتوفي في هراة سنة (606 هـ/1210م). ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي (81/8)، البداية والنهاية، لابن كثير (66/13)، لسان الميزان، لابن حجر (426/4).
(57) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (547/27)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (68/5).
(58) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، كان ثقة في نفسه، حجة، رأسًا في العلم والعمل، عظيم القدر، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة 21ه، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة) بالأزهرية، توفي بالبصرة سنة 110ه. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (69/2)، ميزان الاعتدال، للذهبي (527/1).
(59) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، ولد سنة 61هـ-680م، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث، مات سنة 181هـ-737م بواسط في الطاعون. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (92/1)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (427/1).
(60) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، ولد سنة 45ه-665م، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدًا، توفي سنة 95هـ-714م. ينظر: وفيات الأعيان (204/1)، وطبقات ابن سعد (6/ **178**).
(61) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ولد سنة 3 قبل الهجرة، حبر الأمة وترجمان القرآن، إليه ينسب تفسير القرآن، جمعه بعض أهل العلم من مروياته في التفسير، وكان صلى الله عليه (وآله) وسلم دعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، توفي سنة 68ه. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير (393/5)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (62/3).

﴿رَتْقًا﴾: أي كانتا شيئًا واحدًا ملتصقتين ففصل الله بينهما، ورفع السموات إلى حيث هي وأقرَّ الأرض[62]. إذ الرتق هو ضد الفتق، فإذا كان الفتق المفارقة، فالرتق هو الملازمة[63]، فالأرض خلقها الله تعالى مثل السموات، وعطف الأرض المذكورة في الآية على السموات يقضي بظاهره أن الأرض هي أحدى السيارات[64].

وخلاصة قول لا بلاس هي: إن جميع هذه العوالم كانت غازًا منتشرًا في الفضاء متحركًا بحركة مستمرة لازمة، فأخذت حرارته تشع شيئًا فشيئًا ولما زادت الحركة الدورانية والإشعاع بالطبع انضمت الأجزاء لبعضها، وتكونت شموس كثيرة، وهذه الشموس لم تزل تدور حول نفسها وتقطع دوائر مخصوصة، ثم انفصلت عنها سيارات وتوابع وذوات الأذناب وغير ذلك، وهذه الأرض جزء من شمسنا انفصلت عنها، ودارت حولها ثم بردت على توالي السنين، وانفصل عنها القمر قبل ذلك، ولصغر حجمه برد أولًا، ثم بردت هي ثانيًا وجمدت وصار عليها سائل وهو الماء[65]، وقد نظم الشاعر العصري معروف الرصافي[66] شاعر العراق[67] خلاصة الرأي السديمي فأجاد وهذه قصيدته:

خبرٌ في الأرضِ أوحتهُ السَّما
لأولِي العلمِ برسلِ الفِكرِ
أنَّ هذي الأرض كانت أوَّلًا
ما ترى بحرًا بها أو جبلًا
أو سهولًا أو رُبًا أو سُبلًا
أو رياضًا زهرها الغض نما
من سحابٍ جادها بالمطرِ
إنَّما كانت كتلك الأخواتِ
منْ نجومٍ سائراتٍ دائراتِ
حولَ شمسٍ هي أحدى النَّيِّراتِ
كنَّ من قبل عليها سدمًا
كُتلةٌ واحدةٌ في النَّظرِ
ثُمَّ بعد انفصلت مِنْ ذا السَّديمِ
قطع منها صغير وجسيمِ
ضمن أفلاك بها الدَّور تديمِ
فاستقرَّ الكلُ فيها أنجما
حولَ غير الشَّمس لم تستدرِ
أوَّلًا نبتون منها انفصلا
ثُمَّ أورانوس يهدي زُجلًا
ثُمَّ للمشتري مريخ تلا
ثُمَّ هذا الأرض فالزُّهرة ما
بعدها غير أخيها الأشهرِ
وأخو الزُّهرة بالشَّمس اقتدى
ولها أقرب سيَّارٍ غدا
وهي سارت خلفهُ طولَ المدى
فأمام الأرضِ دان انتظما
خلفها المرِّيخ ثُمَّ المُشتري
أرضنا كانت لظى مشتعلة

(62) مفاتيح الغيب، للرازي (137/22). وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء؛ لأنه تعالى لما فصل بينهما ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السماوية.
(63) مفاتيح الغيب (138/22).
(64) ينظر: الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض (16).
(65) وما خلص إليه لا بلاس وغيره من العلماء، قد سبق إليه القرآن الكريم وقرره المفسرون في تفاسيرهم، ينظر: جامع البيان (436/1)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (274/6).
(66) معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافيّ: شاعر العراق في عصره. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ (بدمشق) أصله من عشيرة الجبارة في كركوك، ويقال إنها علوية النسب. ولد ببغداد سنة (1294هـ-1877م)، ونشأ بها في (الرصافة) وتلقّى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية العسكرية، له كتب منها: ديوان الرصافي، ونفح الطيب في الخطابة والخطيب، ومحاضرات الأدب العربيّ، توفي سنة (1364هـ-1945م). ينظر: الأعلام (7/268-269).
(67) العراق: ناحية مشهورة، وهي من الموصل إلى عبادان طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضًا، أرضها أعدل أرض الله هواء وأصحها تربة وأعذبها ماءً. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني (419).

مُذ مِنَ الشَّمسِ غدت منفصلة

لم تزلْ في دورِها منتقلَة

كتلةٌ فيها اللَّهيبُ احتدما

وهي ترمي في الفضاءِ بالشَّررِ

ما ترى اليوم مِنَ الماءِ الحميمِ

والبَراكين التي تحكي الجحيمِ

ومِنَ الزَّلزالِ ذي الهولِ العظيمِ

دلَّ أنَّ الأرضَ فيما قدما

ذاتَ جرمٍ ذائبٍ مستعرِ

كل ما كان بحال السَّيلانِ

فهو يغدو كُرةٌ بالدَّورانِ

وكذلك الأرض في ماضي الزَّمانِ

كرةٌ ما قد غدا مُلتئما

جرمها من سيلانِ العنصرِ

ثُمَّ إنَّ الأرضَ من قبل الجمودِ

ولدت منها وليست بالولودِ

قمرًا دار عليها بسعودِ

وجلا في اللَّيلِ عنها الظلما

فهي بنتُ الشَّمسِ أم القمرِ[68]

وفي الحقيقة: إن مبدأ الكون وأصله لا يعرف حقيقته إلَّا الله ﷻ، وإنما علماء الفلك أرادوا أن يكشفوا الستار عن حقيقة خلق الكون، فتاهوا ولم يطلعوا على الحقيقة مع جهدهم الجهيد، فافترضوا لها افتراضات علمية، وقالوا: إن الحكم في هذا من باب الترجيح لا من باب الجزم والتأكيد[69].

بحث عن المادة التي صنع منها الكون، وآراء فلاسفة الإسلام وغيرهم:

قالوا: حدوث المادة في الكون إنما هو بخلق خالق مطلق التصرف في الكون، ولكن[أبو][70] الوليد محمد بن رشد[71] فيلسوف قرطبة[72] يرى في ذلك رأي أرسطو[73]، ويعتقد بقدم المادة، أي أزليتها ويقول: إن المادة الأولى التي خُلق منها الكون كانت موجودة بذاتها منذ الأزل، أي بدون ابتداء، وإلَّا وجب أن يقال بأن: العالم صُنع من العدم، وهذا قول لا يقبله العلم على رأي ابن رشد وأرسطو وأتباعهم، وقد كان ابن رشد يحجُّ مناظريه في هذا الموضوع بقوله: إن ظاهر الآيات الواردة في القرآن على إيجاد العالم تثبت رأيه، فإن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7]، وزمانًا قبل هذا الزمان، أعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك[74]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48]، يقضي بظاهره وجودًا ثانيًا بعد هذا الوجود[75]، وقوله تعالى:

(68) ينظر: ديوان معروف الرصافي، معروف الرصافي (55-60).

(69) الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض، عبد اللطيف أبو الوفاء (23).

(70) (أبو) سقط من الأصل، والصواب ما أثبتناه. ينظر: فلسفة ابن رشد، فرح أنطون (35).

(71) هو محمد بن أحمد ابن رشد أبو الوليد، القرطبي الحفيد، مولده ووفاته بقرطبة (520-595ه)، من أعيان المالكية، كان فقيهًا بصيرًا بأقوال أئمة المالكية، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، صنَّف نحو خمسين كتابًا منها: تهافت الفلاسفة، جوامع كتب أرسطاطاليس، تلخيص كتب أرسطو، ينظر:" الديباج المذهَّب، إبراهيم اليعمري: (257/2)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (501/19).

(72) قُرْطُبَة بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة، كلمة فيما أحسب عجمية رومية، ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وبينها وبين البحر خمسة أيام، وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، وهي حصينة بسور من حجارة، ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة، وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم، منهم: أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي، قرأ عليه جماعة من الشيوخ، وأحمد بن محمد بن عبد البر أبو عبد الملك من موالي أبي أمية وغيرهم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (324/4).

(73) أرسطو، ولد (384 ق.م) أو أرسطوطَالِيس أو أرسطاطاليس وهو فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان. وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية، توفي (322ق. م) ينظر: أرسطو: الفلاسفة العظماء. روتليدج، المرجع الأصلي: McLeisch, Kenneth Cole (1999). Aristotle: The Great Philosophers. Routledge. P.

(74) فلسفة ابن رشد، فرح أنطون (35).

(75) المصدر السابق (35).

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: 11]، يقضي بظاهره أن السموات خُلقت من شيء[76].

ونذكر الآن رأيه في نشأة الكون من تلك المادة الأزلية، وننقل ما كتب في كتابه ما وراء الطبيعة في الفصل الثاني عشر فقال: "في خلق الكون رأيان متناقضان، وبينهما عدة آراء، فالرأيان المتناقضان قول بعضهم: أن الكون نشأ بالنمو الطبيعي، وقول البعض الآخر: إنه خُلق خلقًا، أي وجد من العدم، أما أنصار النمو الطبيعي: فعندهم أن الخلق إنما هو عبارة عن تولد الكائنات وخروجها بعضها من بعض، والفاعل في ذلك عندهم لا وظيفة له غير تسهيل هذا الخروج والتوليد، فهو إذًا بمثابة محرّك لا غير، أما أنصار الخلق: فعندهم أن الفاعل يوجد الشيء من لا شيء، أي من غير أن يحتاج إلى مادة ولا إلى نمو، هذا الرأي هو رأي الأكثرية من الفلاسفة والعلماء من حين نشأة الفلسفة والعلم إلى اليوم، وهم الذين يعتقدون بأن قوة الخلق والإيجاد موجودة في الفاعل"ﷻ لا في المادة[77]. قال المحقق [الإسكندراني][78] في تفسير كلمة (خلق) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس: 3] قال[الإسكندراني]: الخلق معناه التقدير، فخلق السموات والأرض إشارة إلى تقدير حالة من أحوالها، وذلك التقدير يحتمل وجوهًا كثيرة:

أولًا: تقدير ذواتها بمقدار معين، مع أن العقل يقضي بأن الأزيد منها والأنقص جائز، فاختصاص كل واحد منها بمقداره المعين لا بدَّ وأن يكون بتخصيص مخصص، وذلك يدلُّ على افتقار خلق السموات والأرض إلى الفاعل المختار[79].

ثانيًا: كون هذه الأجسام متحركة في الأزل محال؛ لأن الحركة انتقال من حال إلى حال، فالحركة يجب أن تكون مسبوقة بحالة أخرى، والأزل ينافي المسبوقية، فكان الجمع بين الحركة وبين الأزل محال إذا ثبت هذا نقول: هذه الأفلاك والكواكب أما أن يقال أن ذواتها كانت معدومة في الأزل ثم وجدت، أو يقال: أنها وإن كانت موجودة لكنها كانت واقفة ساكنة في الأزل ثم ابتدأت بالحركة، وعلى التقديرين فتلك الحركات ابتدأت بالحدوث، وهي حقيقة ابتدأت بالحركة مع ابتداء الحدوث والوجود في وقت معين مع جواز حصولها قبل ذلك الوقت وبعده، وإذا كان الأمر كذلك كان اختصاص ابتداء تلك الحركات بتلك الأوقات المعينة تقديرًا وخلقًا ولا يحصل ذلك الاختصاص إلا بتخصيص مخصص قادر مختار[80].

ثالثًا: إن أجزاء الكواكب مركبة من أجزاء صغيرة دقيقة، ولابد أن يقال إن بعض تلك الأجزاء حصل في داخل الأجرام، وبعضها حصل على سطوح الأجرام، فاختصاص حصول كل واحدة من تلك الأجزاء بحيزه المعين وموضعه لابد وأن يكون بتخصيص المخصص القادر المختار[81].

(76) فلسفة ابن رشد، فرح انطون (17).
(77) المصدر السابق (17).
(78) (الإسكندراني): أثبته (الإسكندري)، والصواب الإسكندراني، سقط في بعض الكلمة، هو محمد بن أحمد الإسكندراني، طبيب، باحث من أهل الإسكندرية، عمل في العسكرية البحرية بمصر إلى سنة 1256ه، ورحل إلى دمشق فتولى رئاسة أطباء الجيش إلى سنة 1258ه، وتوفي بدمشق سنة 1306ه، من كتبه: كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، وتبيان الأسرار الربانية بالنباتات والمعادن والخواص الحيوانية، والأزهار المجنية في مداواة الهيضة الهندية. ينظر: الأعلام (21/6).
(79) الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض، عبد اللطيف أبو الوفاء (18).
(80) المصدر السابق (18).
(81) الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض، عبد اللطيف أبو الوفاء (18).

رابعًا: إن العناصر البسيطة متكونة من أجزاء دقيقة ذات طبيعة واحدة، والكواكب مركبة من جملة عناصر ممكنة الوجود في ذواتها، فكل ما كان ممكنًا لذاته فهو محتاج إلى المؤثر وهو القادر ﷻ[82].

خامسًا: إن الأجسام متماثلة، فاختصاص بعضها بالصفات التي لأجلها كانت سموات كواكبًا وأرضًا، والبعض الآخر بالصفات التي لأجلها كانت عناصر وحرارة وضوء وهواء، لابد وأن يكون أمرًا جائزًا؛ وذلك لا يحصل إلا بتقدير مقدر وتخصيص مخصص[83].

منهج العلامة حجة الإسلام محمد أبي حامد الغزالي[84] في إثبات وجود البارئ:

الدعوى الأولى: إنا نقول: كل حادث[85] فلحدوثه سبب، والعالم حادث فيلزم منه أن له سببًا، ونعني بالعالم: كل موجود سوى الله تعالى، ونعني بكل موجود سوى الله تعالى: الأجسام[86] كلها وأعراضها[87]، وشرح ذلك بالتفصيل: إنا لا نشك في أصل الوجود، ثم نعلم أن كل موجود إما متحيز[88] أو غير متحيز، وإن كل متحيز إن لم يكن فيه ائتلاف فنسميه جوهرًا فردًا، وإن ائتلف إلى غيره سميناه جسمًا، وإن غير المتحيز إما أن يستدعى وجوده جسمًا يقوم به ونسميه الأعراض، ولا يستدعه وهو الله سبحانه وتعالى، فأما ثبوت الأجسام والأعراض فمعلوم بالمشاهدة، ولا يلتفت إلى من ينازع في الأعراض[89].

وقال: الجسم والعرض مدرك بالمشاهدة، فإما موجود ليس بجسم ولا جوهر متحيز ولا عرض فيه فلا يدرك بالحس، ونحن ندعي وجوده، وندعي أن العالم موجود به وبقدرته، ولهذا يدرك بالدليل لا بالحس، والدليل ما ذكرناه، فلنرجع إلى تحقيقه، فقد جمعنا فيه أصلين فلعلَّ الخصم ينكرها، فنقول له: في أي الأصلين تنازع؟ فإن قال: إنما أنازعك في قولك: إن كل حادث فله سبب، فمن أين عرفت هذا؟[90].

فنقول: إن هذا الأصل يجب الإقرار به، فإنه أولي ضروري، في العقل ومن يتوقف فيه فإنما يتوقف؛ لأنه ربما لا ينكشف له ما نريده بلفظ الحادث ولفظ السبب، وإذا فهما صدق عقله بالضرورة بأن لكل حادث سببًا، فإنا نعني بالحادث ما كان معدومًا ثم صار موجودًا، فنقول: وجوده قبل أن وجد كان محالًا أو ممكنًا، فلسنا نعني بالممكن إلا ما يجوز أن يوجد، ويجوز أن لا يوجد، ولكن لم يكن موجودًا؛ لأنه ليس يجب وجوده

(82) المصدر السابق (18).
(83) الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض (18).
(84) هو محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي، كنيته أبو حامد، فقيه شافعي، وفيلسوف متصوف، ولد عام (450هـ)، وجمع شتات العلم في المنقول والمعقول، له نحو مائتي مصنف، من مؤلفاته المشهورة: إحياء علوم الدين، والمستصفى في علم الأصول، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، توفي رحمه الله سنة(505هـ)، ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (463/1)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (4/ 101)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (277/1).
(85) حادث مفرد جمعه حوادث، والحدوث: كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله فهو مُحدَث، وحديث، وكذلك استحدثه، وفي الصحاح: استحدثت خبرًا، أي وجدت خبرًا جديدًا. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي (206/5)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، (453/1).
(86) الأجسام جمع، مفرده جسم، والجسم: متحيز قابل للقسمة، ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (342/73).
(87) الأعراض جمع مفرده عرض، والعرض: هو الحال في المتحيز، وأعراض الشّيء صفاته ومحمولاته، ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (342/73)، شرح المصطلحات الفلسفية، مجمع البحوث الإسلامية في الأستانة الرضوية (24).
(88) المتحيز: الحيز: هو الفراغ المتوهم المشغول بالشيء، والمتحيز: هو الشاغل للحيز الذي هو عند المتكلمين الفراغ المتوهم المشغول بالشيء الذي لو لم يشغله لكان ذا خلاء كداخل الكوز للماء وقد يذكر ويراد به أحد أمور أربعة: الأول: المتحيز الذي لا يقبل القسمة هذا على قول من يثبت الجوهر الفرد المسمى بالجزء الذي لا يتجزأ لا كسرًا لصغره، والثاني: هو الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها والثالث: أنه الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت في موضوع أي ذات، ويخرج عنه الواجب لذاته، إذ ليس له ماهية وراء الوجود والرابع: أنه الموجود الغني عن محل يحل فيه. ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (342/72)، الكليات، أبو البقاء الكوفي (347).
(89) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (24/1-25).
(90) المصدر السابق (24/1-25).

لذاته، إذ لو وجد وجوده لذاته لكان واجبًا لا ممكنًا، بل قد افتقر وجوده إلى مرجح لوجوده على العدم حتى يتبدل العدم بالوجود، فإذا كان استمرار عدمه من حيث أنه لا مرجح للوجود على العدم فمن لم يوجد المرجح.

والحاصل أن المعدوم المستمر العدم لا يتبدل عدمه بالوجود ما لم يتحقق أمر من الأمور، يرجح جانب الوجود على استمرار العدم، وهذا إذا حصل في الذهن معنى لفظه كان العقل مضطرًا إلى التصديق به، فهذا بيان إثبات هذا الأصل، وهو على التحقيق شرح اللفظ الحادث والسبب لإقامة دليل عليه[91]، ثم قال ما خلاصته: "أن القول بحدوث العالم ليس بأولي في العقل، بل نثبته ببرهان منظوم من أصلين آخرين هو إنا نقول: إذ قلنا أن العالم حادث أردنا بالعالم الآن الأجسام والجواهر فقط، فنقول: كل جسم فلا يخلو عن الحوادث، وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فيلزم منه أن كل جسم فهو حادث، فإن قيل: لِمَ قيل أن كل جسم أو متحيز فلا يخلو عن الحوادث؟ قلنا: لأنه لا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان، وقد صرَّح الفلاسفة بأن أجسام العالم تنقسم إلى السموات، وهي متحركة على الدوام، وأحاد حركتها حادثة، ولكنها دائمة متلاحقة على الاتصال أزلًا وأبدًا إلى العناصر الأربعة التي يحويها مقعر فلك القمر، وهي مشتركة في مادة حاملة يصورها وأعراضها، وتلك المادة قديمة، والصور والأعراض حادثة متعاقبة عليها أزلًا وأبدًا، وأن الماء ينقلب بالحرارة هواء، والهواء يستحيل بالحرارة نارًا، وهكذا بقية العناصر، وأنها تمتزج امتزاجات حادثة فتتكون منها المعادن والنبات والحيوان، فلا تنفك العناصر عن هذه الصور الحادثة أبدًا، وإنما ينازعون في قولنا أن لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث فلا معنى للإطناب في هذا الأصل، ولكنا لإقامة [الرسم][92] نقول: الجوهر بالضرورة لا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان"[93].

أما الحركة فحدوثها محسوس، وإن فرض جوهر ساكن كالأرض ففرض حركته ليس بمحال، بل نعلم جوازه بالضرورة، وإذا وقع ذلك الجائز كان حادثًا وكان معدمًا للسكون، فيكون السكون أيضًا قبله حادث؛ لأن القديم لا ينعدم كما سنذكره في إقامة الدليل على بقاء الله تعالى، وإن أردنا سياق دليل على وجود الحركة زائدة على الجسم، قلنا: إنا إذا قلنا هذا الجوهر متحرك أثبتنا شيئًا سوى الجوهر بدليل إنا إذا قلنا هذا الجوهر ليس متحرك صدق قولنا، وإن كان الجوهر باقيًا ساكنًا، فلو كان المفهوم من الحركة عين الجوهر لكان نفيها نفي عين الجوهر، وهكذا يطرد الدليل في إثبات السكون ونفيه، وعلى الجملة فتكلف الدليل على الواضحات يزيدها غموضًا ولا يفيدها وضوحًا[94].

خرج العلم العملي في القرن التاسع عشر مزودًا بحقائق كثيرة، فقد توسعوا العلماء في بحث المادة، وعرفوا بعض الحقائق التي كانت مختفية ومجهولة عند المتقدمين، ومع جهدهم الجهيد لم يطلعوا على ماهية المادة ولا حقيقة الذرات، وإنما وصلوا إلى بعض اكتشافات مهمة تتعلق ببناء ذرات المادة وأكثرها افتراضات علمية لا تخرج عن دائرة الحدس والتخمين[95]، قال صاحب [الفيزيقا][96] الحديثة: تمتاز السنون العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر

(91) الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي (25/1).
(92) (الرسم) أثبتها في الأصل (الرسو) لعله سهو من المؤلف والصواب ما أثبتناه.
(93) الاقتصاد في الاعتقاد (25/1-26).
(94) المصدر السابق (26/1).
(95) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر (32).
(96) (الفيزيقا) أثبتها في الأصل (الفريقا) والصواب ما أثبتناه.

بظهور النظرية الالكترونية، وهي أهم نظرية تتعلق ببناء الذرة[97] كما سنشرح ذلك في محله.

المادة وماهيتها:

وقد اختلف الفلاسفة وعلماء الطبيعة في حقيقة المادة وشرح ماهيتها، فذهب أفلاطون[98]وأرسطو إلى أن المادة أزلية، وأنها هي الهيولي[99] الأولي لا شكل لها ولا مثال، ولكنها مستعدة لقبول الصورة[100].

وقال أرسطو: إن المادة ليس لها وجود في الخارج، وإنما الموجود في الخارج مادة اتخذت لها صورة[101].

والمذهب السائد الآن هو أن الكون مركب من مادة ومن قوة تحركها، وقالت دائرة المعارف الفرنسية حسب ما ذكره الشيخ عبد الباقي[102]: أن الوفاق تام بين المذاهب المخلفة، وذلك في اجتماعها على أن وجود المادة في الواقع ليس معروفًا لنا من طريق مباشر، بل نحن إنما نفرض وجودها فرضًا، وذلك لأجل أن نفسر لأنفسنا حدوث الظواهر التي تؤثر على حواسنا عليه، فمنها كانت الفكرة التي نكونها لأنفسنا عن المادة، فإننا لا ندركها أبدًا على ماهي عليه في الواقع، بل على ماهي عليه بالنسبة لشعورنا، وبالنسبة لحاجات أفكارنا، ثم قالت: " فنحن محكوم علينا بجهل ماهية المادة على الدوام"[103]. وقال غوستاف [لوبون][104][105] الفرنساوي المشهور[106]:

"إن المادة قوة متكاثفة، وأن الجواهر الفردة نشأت من تكاثف الأثير في قديم الزمان لسبب لا يعرف، وأن المادة تنعدم وتكون قوة، والقوة تنعدم وتكون أثيرًا، وخالف الذين قبله في قولهم أن المادة أزلية، درس الإنسان بناء المادة قرونًا، فكان يظنها أولًا بأنها متصلة البناء"[107].

ولكن جاء ديمقريطس[108] الفيلسوف اليوناني وقرر بأن المادة منفصلة البناء، وهي مركبة من ذرات سماها الجواهر الفردة، وهي أصغر أجزاء من المادة، وهي غير للانقسام، وإنها دائمة الحركة ومن حركتها الدائمة تحدث الصور من طريق التئامها وانحلالها، وأن الجواهر الفردة لها صورة وحجم وفيها قوة جاذبة تجذب بعضها إلى بعض ولا مسامية لها، وكل الأجسام تتكون من عناصر أولية واحدة هي الجواهر، وترتيبها

(97) الفيزيقا الحديثة حاضرها ومستقبلها، أحمد فهمي أبو الخير (222).
(98) أفلاطون، ولد (427ق. م)، فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية تتناول مواضيع فلسفية مختلفة: نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة، توفي (347 ق. م)، ينظر: محاضرات في الفلسفة اليونانية ابتداء من سقراط، منى عبد الرحمن المولد (39).
(99) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي اصطلاح أهل الكلام: أحد جزئي الجسم، وهو محل الجزء الآخر منه، أو أجسام قائمة بنفسها أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (84/3)، المعجم الفلسفي (536/2).
(100) كتاب الإسلام ماضيه وحاضره، نعيم عبد الباقي سرور (60).
(101) قصة الفلسفة اليونانية، زكي نجيب، وأحمد أمين (143).
(102) عبد الباقي سرور نعيم كاتب مصري مولده ووفاته في قراقص من قرى دمنهور، تعلم بالأزهر، وتولى تحرير جريدة الأفكار اليومية بالقاهرة، واتهم بإثارة الجماهير على البريطانيين أيام احتلالهم مصر، فسجن ثلاثة أشهر وأصيب بالسل، فمات قبل أن يبلغ الخمسين من عمره، له كتاب الإسلام ماضيه وحاضره، وتنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف في الرد على بعض المبشرين، ونحو مائة مقالة نشرها في مجلة الفتح، توفي سنة 1928م. ينظر: الأعلام للزركلي (271/3).
(103) كتاب الإسلام ماضيه وحاضره، عبد الباقي سرور (60-61).
(104) (لوبون) أثبتها (لبون) سقط في بعض الكلمة والصواب ما أثبتناه.
(105) غوستاف لوبون طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد في مقاطعة نوجيه لوروترو بفرنسا عام 1841م، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار، وعلم الإنثروبولوجيا وعنى بالحضارة الشرقية، من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند والحضارة المصرية وحضارة العرب في الأندلس، وسر تقدم الأمم وروح الاجتماع الذي كان إنجازه الأول، وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. ينظر ترجمة المؤلف في: حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر (11-15).
(106) قلت: وكان رأيه حول المادة مبني على المشاهدة والاختبار، بحيث وافقه أكثر علماء أوروبا، ولم يثبت أمام النقد العلمي إلَّا نظرياته.
(107) الرحلة المدرسية، محمد جواد البلاغي (276).
(108) ديموقريطوس أو ديمقراط "يونانية"، فيلسوف يوناني ولد في أبديرة ترافيا 460 ق.م-370 قزم، كان أحد الفلاسفة المؤثرين في عصر ما قبل سقراط، وكان تلميذًا للفيلسوف ليو كيبوس، الذي صاغ النظرية الذرية للكون، ورث من والده أموال طائلة واستنفذ أمواله في الرحلات التي كان ومولعًا بها، وزار مصر، وتعلم الرياضيات من العلماء المصريين، ثم ذهب إلى بلاد فارس ثم إلى الهند وحاور الفلاسفة العراة فيها، ثم عاد إلى أثينا وقابل سقراط وتعرف عليه. ينظر: ديموقريطوس، موسوعة ستانفورد للفلسفة ترجمة: محمد أبو شعبان، مراجعة: مصطف الحفناوي (4).

ومراكز وضعها واختلاف الجواهر في هذه الخصائص لا نهاية له، كما أن عددها غير متناه أيضًا، ومن هنا يكون تنوع الصور لا نهاية له[109].

وقبل أن نذكر لك الرأي السائد في المادة والنظريات الحديثة في بناء الذرة المادية نذكر لك شيئًا عن حقيقة الأثير فنقول:

ما هو الأثير؟:

الأثير عند فلاسفة اليونان القدماء، وفلاسفة العرب الذين أخذوا عنهم الفلسفة هو المادة الأصلية للعالم، وعند فيثاغورس[110] هو روح الوجود الذي منه نشأت الأرواح الجزئية وعند أنكساغوراس[111] هو أصل النار، وعند أفلاطون هو مادة أخف وأنقى من الهواء، وقد سمي بالهيولي[112].

وأما عند المحدثين: فهو مادة [غاية اللطافة والمرونة][113] مالئة لهذا الكون[الذي لا نهاية له][114] ومتسربة إلى ما بين ذرات الأجسام متجانسة الكثافة والمرونة في كل جهة، فهو مادة لا يقوم دليل قطعي على وجودها، وإنما فرضت لتعليل بعض الظواهر الطبيعية كانتقال أمواج النور والكهربائية، وذلك أنهم لما رأوا النور يصلنا من الأجرام البعيدة كالشمس والكواكب بدون واسطة؛ لأن الهواء معدوم بيننا وبينها قالوا: لا بد من وجود واسطة بيننا وبينها في ذلك الفضاء الشاسع الذي يفصلنا عنها[115].

وقالوا: إن النور والحرارة هما أنواع من الحركة أو الاهتزازات السريعة، فلا بد لنقل هذه الاهتزازات أو الحركة من الأجرام السماوية إلينا من واسطة، كما أن الصوت الذي هو جنس من الحركة يصل إلى مسامعنا بواسطة الهواء، فقالوا: لا بد من وجود جسم غازي لطيف للدرجة القصوى يحمل إلينا الاهتزازات الضوئية ليصل إلينا أثرها، فارتضى أكثر العلماء بهذا الفرض؛ لأنهم ما كانوا يستطيعون تعليل بعض الحوادث الطبيعية بدون فرض الواسطة، ولكن العلَّامة أينشتاين[116] وأتباعه أنكروا وجود الواسطة، فلم يقبلوا وجود الأثير، وقال بعضهم: لا حاجة لنقل الأمواج الضوئية من وجود أثير، وقالوا: إن هذه الأمواج تصل إلينا على مادة موجودة بين الكواكب، وهي ككل المواد ذات وزن وكثافة، وإن كانت دقيقة جدًا[117].

(109) ينظر: ملقى السبيل، إسماعيل مظهر (153).
(110) كان فيثاغورس الساموسي(570-495ق. م بوجه التقريب) فيلسوفًا يونانيًا إيونيًا قديمًا، ومؤسس الفيثاغورية التي سميت باسمه كانت تعاليمه السياسية والدينية منتشرة في ماجنا غراسيا وألهمت الفلاسفة أفلاطون وأرسطو والغرب عمومًا عن طريقهم، تغطى الأسطورة معرفة حياته، لكن يظهر أنه كان ابن منيساكوس وهو نقاش أحجار كريمة في جزيرة ساموس، ينظر: الأعلام من الفلاسفة "فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات"، فاروق عبد المعطي (22-25).
(111) أناكسوغوراس: فيلسوف يوناني (500ق.م-428ق.م) قام بعرض فكرة نيوس باليونانية "العقل" إلى فلسفة الأصل، الفلاسفة السابقين درسوا العناصر "التراب والهواء والنار والماء" بأنها الحقيقة النهائية. ولد أناكسوغوراس في كلازومينياي"قرب أزمير الحديثة بتركيا"، كان الفيلسوف الأول ليقطن في أثينا، في وقت لاحق مركزًا مزدهرًا للفلسفة، كان أناكسوغوراس يدرس في أثينا لمدة 30عامًا، سُجن لمعصية ليدل على أن الشمس هي حجر ساخن والقمر مصنوع من الأرض وليست آلهة، في وقت لاحق أنه ذهب إلى إيونيا "في آسيا الصغرى" واستقرَّ عند لامبسكس، مستعمرة ميلتش، حيث توفي هناك. ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم حفني (283).
(112) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي (58/1).
(113) (غاية اللطافة والمرونة) أثبتها في الأصل (لطيفة ومرنة) والصواب ما أثبتناه.
(114) سقط من الأصل والصواب إثباته، ينظر: دائرة معارف القرن العشرين (58/1).
(115) دائرة معارف القرن العشرين (58/1).
(116) ألبرت أينشتاين: عالم فيزياء ألماني المولد، تخلى عن الجنسية الألمانية لاحقًا، سويسري وأمريكي الجنسية، من أبوين يهوديين، يُشتهر بأبي النسبية كواضع لنظريتي النسبية الخاصة، والنسبية العامة الشهيرتين اللتين كانتا اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، حاز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1921م عن ورقة بحثية حول التأثير الكهروضوئي من ضمن ثلاثمائة ورقة علمية أخرى، بدأ مشواره مع النسبية بالنسبية الخاصة التي خالفت نظرية نيوتن في الزمان والمكان لتحل بشكل خاص مشاكل النظرية القديمة فيما يتعلق بالأمواج الكهرومغناطيسية عامة، والضوء خاصة، وذلك ما بين (1902م-1909م) في سويسرا، أما النسبية العامة فقد طرحها عام 1915م حيث ناقش فيها الجاذبية، وتمثل الوصف الحالي للجاذبية في الفيزياء الحديثة. ينظر: أينشتاين "حياته وعالمه"، والتر إيزاكسون، ترجمة: هاشم أحمد محمد (31-34).
(117) دائرة معارف القرن العشرين (58/1).

وقال العلامة [جيمس آرثر فندلاي][118][119] رئيس المعهد الدولي الروحي في لندن في كتابه على حافة العالم الأثيري ما خلاصته: إن المادة أصبحت تعتبر هذا الأثير نفسه، وإنما في حالات اهتزازات محدودة خاصة، والمادة الطبيعية التي تدركها حواسنا، فهي ذلك الجزء من الأثير الذي يهتز في دائرة معينة، والأثير الذي لا تدركه حواسنا مع وجوده هو الذي اهتزازاته خارجة عن الحد المعين، فيمكن اعتبار أثير الفضاء حلقة الاتصال الكبرى التي توجد ما بين العالمين، وكلاهما محصور داخل هذه المادة، وكلاهما جزء منها، وكلاهما مكون منها والعالمان جزء من كون واحد، والحياة في كليهما مقيدة به، فهنا في العالم المادي الذي نعيش فيه إنما نحس فقط بنوع من الاهتزازات العالية، وقال: يجب أن نعلم أن الكون ما هو إلا أثير لا أكثر ولا أقل، وإنما في حالات اهتزازات مختلفة[120].

خواص المادة:

قبل أن نبتدئ في بيان حقيقة المادة، ونبحث عن ماهيتها نذكر لك في هذا الفصل شيئًا عن خواص المادة، المادة الطبيعية هي ما ندركها بواسطة الحواس الخمس الظاهرة وهي: اللمس والبصر والسمع والذوق والشم، فمن المواد ما يدرك بكل الحواس، وآخر ما يدرك ببعضها، ومنها ما يدرك بحاسة واحدة فقط كالهواء مثلًا، فإنه لا يذاق ولا يشم، ولكنه يلمس ويسمع صوته، والملح المحمول بالهواء البحري يشم فقط؛ لأنه ذو دقائق صغيرة جدًا لا تلمس ولا تنظر منتشرة في الهواء[121].

والمواد إما أن تكون جامدة أو سائلة أو غازية، وهي تتركب كلها من الدقائق أو الجزيئات، فالجامدة أو الصلبة منها هي التي تلتصق أو تتماسك دقائقها بقوة تحفظ هيئتها على حالها ما لم تعترها قوة أخرى، تغير هيئتها، والمادة السائلة هي ما تلتصق دقائقها التصاقًا ضعيفًا بقوة لا تمنع ثقل دقائقها عن تغييره هيئتها، فلا يكون لها شكل معين، بل تتشكل بشكل الأواني التي تحل فيها، ولكنها تحفظ حجومها ما لم يؤثر فيها مؤثر، والمادة الغازية الهوائية هي ما ليس حجم ثابت ولا شكل معين، وتملأ كل حيز تحل فيه وتصير على شكله، فإذا أغلينا الماء في غرفة يتحول ذلك إلى بخار ويمتلأ منه فضاء الغرفة، وسبب تحول الماء إلى بخار هو الحرارة؛ لأنها تضعف قوة التماسك الكائنة بين دقائق المادة أو جزئياتها، ومتى انقصت حرارة بخار

(118) أثبته في الأصل (ج. ارتهر فندلائي)، والصواب ما أثبتناه.

(119) Arthur Findlay MBE jp(May 16, 1883- July 24, 1964) was a writer, accountant, (stockbroker and Essex magistrate, as well as a significant figure in the history, of the religion of the newspaper, psychic News and also a founder of the international institute for psychical Research. In his will he ieft his hom, Stansted Hall, to the Spiritualists, National Union.see: Arthur Findlay MBE jp(3).
الترجمة: ج. آرثر فندلاي: كان كاتب وقاضي إسكس، وأسكس: مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية، وشخصية تاريخية مهمة في الدين الروحاني، وأحد المؤسسين الثانويين في صحيفة الأخبار النفسية بالإضافة إلى كونه مؤسس المعهد الدولي للأبحاث النفسية، وبإرلدته غادر منزله المدعو بصالة ستانستد إلى الاتحاد الروحي.

(120) على حافة العالم الأثيري، ج. آرثر فندلاي، ترجمة: أحمد فهمي أبو الخير (41-42). كتب أرنست هيكل بأن هذا الترقي في إدراك الأثير يكسب فلسفة وحدة الوجود قوة عظيمة وذلك أن الآراء الضالة التي كانت تقول بوجود الفراغ وبتأثير بعضها على بعض من بعد قد زالت الآن وهذه اللانهاية الوجودية وإن كانت المادة لا تشغلها كلها فإنها برمتها مشغولة بالأثير ثم قال نعم إن نظرية الأثير إذا أخذت كقاعدة للإيمان يمكنها أن تعطينا شكلًا معقولًا للدين وذلك إذا جعلنا بازاء الكتلة الجامدة الثقيلة أي المادة ذلك الأثير الشامل المتحرك الذي هو الإله الخالق ثم أيد الأستاذ هيكل رأيه هذا برأي الأستاذ الجليل خليسنجر الألماني الذي أبداه في خطابه فذكر عنه أنه قال إن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلية وأكبر مجلي من مجالي الحياة الآلية يمكن أن يعلل وجودهما على السواء بفعل قوى طبيعية واحدة وبما أنهما من جهة أخرى يشتركان في الصدور الأصل الأصيل المتوحد الذي يملأ الوجود اللانهائي وهو الأثير فيمكن اعتبار هذا الأثير إلهًا عامًا ويكون نتيجة ذاك هذا الحكم وهو أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية. ينظر: فصول من سيرة الرسول، ومباحث أخرى، محمد فريد وجدي (358).

(121) ينظر: كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة، شدودي أسعد (2).

الماء يتحول إلى قطرات ماء، فتكون الدقائق أو جزئيات المادة في حالتها الغازية ضعيفة التماسك، وفي حالة الحركة الشديدة أو الاضطراب الشديد، ولا تلتصق الدقائق التصاقًا تامًا في الحالة الغازية، فمتى أردنا أن نقوي قوة الالتصاق بين جزئيات الغاز يجب علينا أن نسكن الاضطراب الهائل الواقع في دقائق المادة الغازية بتبريدها فتتحول إلى سائل، فحالات المادة الثلاث في الحقيقة تتوقف على الحرارة فقط، فيمكن لنا أن نحول المادة الصلبة إلى سائلة أو غازية بتغيير درجة الحرارة، وكذلك يمكن تحويل المادة السائلة أو الغازية إلى المادة الصلبة بتبريدها[122]. وسنوضح لك مسألة اضطراب جزئيات المادة في بحثنا عن بناء المادة[123].

الخصائص العمومية للمادة:

والآن نتكلم عن الخصائص العمومية للمادة، لكل مادة سواء كانت صلبة أم سائلة أم غازية خصائص لا تنفك عنها، وهي الامتداد وعدم التداخل والاستمرار والتجزؤ والمسامية والكثافة والانضغاط والتمدد والمرونة والجاذبية[124].

أما الامتداد: فهو الطول والعرض والعمق، فلا يقدر أن نتصور مادة ما بدون تصور هذه الأبعاد الثلاثة، ويقول العلامة أينشتاين: إن للأشياء أربعة أبعاد، وهي: الطول والعرض والعمق والزمن، وقال: إن الزمان والمكان الذين نتصورهما منفصلين هما حسب نظريته مربطان أحدهما بالآخر، ويعبر عن هذه الوحدة بطرف الزمان والمكان، وبالمتصل ذي الأبعاد الأربعة، وسنتكلم على هذه النظرية في فصل آخر فيلزم من تصورنا الأبعاد الثلاثة أن نتصور أن كل جسم يشغل حيزًا من الفراغ وأن له هيئة ما[125].

خاصية عدم التداخل: هي عدم إمكان إشغال جسمين معًا حيزًا واحدًا في وقت واحد، وهذه الخاصية صفة لازمة للمادة توضع بجملة طرق، فإذا أخذنا أنبوبة من الزجاج مفتوحة من طرف واحد وغطسنا الطرف المفتوح في الماء، فترى الماء لا يصعد في أنبوبة لكونها ملانة هواء، ولكن إذا أخذنا أنبوبة مفتوحة الطرفين، فإن الماء يصعد حالًا حينما تغطس الأنبوبة[126].

خاصية الاستمرار: وهي بقاء الجسم على حالته من السكون أو الحركة في جهة واحدة على خط مستقيم بسرعة واحدة، فإذا كان جسم ساكنًا فلا قوة له أن يحرك نفسه، وإذا كان متحركًا فلا قوة له أن يغيّر معدل حركته أو الجهة المتحرك فيها، فإن كل جسم ساكن يستمر ساكنًا إلى الأبد، وكذلك المتحرك يتحرك دائمًا في خط مستقيم بسرعته الأولى حتى تفعل به قوة خارجة، فتغير حال سكونه أو حركته، قرر نيوتن[127] أن الأجسام المتحركة تتحرك دائمًا في خطوط مستقيمة[128].

(122) ينظر: كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة، شدودي أسعد (4).
(123) سيتناوله المؤلف بشيء من التفصيل في معرض الحديث عن بناء المادة وحقيقتها.

(124) ينظر: كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة، شدودي أسعد (5).
(125) المصدر السابق (5).
(126) العروس البديعة في علم الطبيعة (5).

(127) نيوتن، ولد في ديسمبر 1642م، عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية، أسس كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية، وربما كان هذا أهم عمل فردي تم نشره على الإطلاق في العلوم الطبيعية الذي نشر لأول مرة عام 1687، لمعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية، توفي 20 مارس 1727م. ينظر: تاريخ العلم 1543-2001، جريبين، جون (235/1).
(128) العروس البديعة في علم الطبيعة (6).

ولكننا نرى أن الأجسام المتحركة تسكن ولو بعد مدة، والسبب في ذلك أن قوات أخرى تغير حال حركتها، فإذا رمي حجر مثلًا على جهة أفقية فضلًا عن مقاومة الهواء له يميل دائمًا إلى أسفل بجاذبية الأرض، ويسير في خط منحنٍ حتى يصل إلى الأرض أخيرًا، ولولا مقاومة الهواء له والجاذبية لاستمر ساريًا على حركته إلى الأبد، وقد توضح عدة أمور مألوفة هذه الخاصة، إذا أراد رجل أن يثبت من مكان بقوة إلى أبعد ما يمكن يركض من بعيد ليكتسب قوة من الاستمرار فوق قوته، إذا وقفت العربية أو السيارة بغتة فالمواد غير المرتبطة فيها ترتمي أو تميل إلى قدام؛ وذلك لأنها تميل أن تبقى على الحركة التي كانت عليها، إذا كان رحل راكضًا وعثرت رجله بحجر فاستمرار الجزء الأعلى من جسده يميل به إلى قدام فيقع على الأرض[129].

إذا أردنا أن نخلص ثوبًا مما علق به من الغبار نبعد الثوب فجأة عن دقائق الغبار فيبقى في موضعه وينفصل عن الثوب، فينتج من هذا أنه إذا تحرك جسم في الفراغ بعيدًا عن جميع المؤثرات التي تعوق حركته كانت حركته منتظمة ومستقيمة، وتدور الأرض حول الشمس نظرًا للجذب الواقع بينهما، ولولا هذا الجذب لتحركت على خط مستقيم باستمرار وبسرعة منتظمة إلى ما لا نهاية له، ولهذا السبب أيضًا يدور القمر حول الأرض وجميع الكواكب السيارة حول الشمس[130] "انظر براهين نيوتن على وجود الخالق"، وتسمى هذه [الخاصية][131] أيضًا بخاصة [بخاصية] القصور الذاتي.

خاصة[خاصية] التجزؤ: هي خاصة بها يمكن تقسيم الأجسام إلى أجزاء في غاية الدقة دون أن تتغير طبيعتها المميزة لمادتها، فيمكن تقسيم السكر إلى أجزاء صغيرة جدًا بطحنها ويظهر عقلًا بأن التجزؤ لا ينتهي، بل أن المادة تقبل الانقسام مهما صغرت أجزائها، والرأي السائد الآن أن الذرات وهي أصغر أجزاء المادة غير قابلة للتقسيم[132]، وسنبحث عنها في بناء المادة بالتفصيل[133].

خاصية المسامية: فهي وجود الأبعاد أو الأخيلة الكائنة بين دقائق المواد، وهذه الخاصة لازمة للمواد؛ لأنه مهما كان الجسم صلبًا وكثيفًا فلا بدَّ أن تكون دقائقه مبتعدة بعضها عن بعض، وأن يكون ذلك البعد غير محسوس في بعض الأجسام الصلبة، وتلك الأخيلة بين الدقائق والجزئيات تسمى مسام بواسطة المسام يحصل التنفيس الجلدي والعرق، وقد شوهد بالمجهر في خط طوله قيراط على البشرة أكثر من ألف من هذه المسام، وقد أثبت الطبيعيون مسامية الذهب والمعادن بالطريقة الآتية:

وهي أنهم ملأوا وكرة من ذهب مجوفة ضابطة ضبطًا تامًا، وثم ضغطوها ضغطًا شديدًا، فشوهد الماء مترشحًا على سطحها بصورة ندى، وقد كرروا هذا الامتحان بمعادن أخرى فظهرت هذه النتيجة عينها، وإذا غطست قطعة من الذهب في زئبق، فالذهب يمتص مقدارًا من الزئبق؛ لأنه يدخل في المسام الواقع بين دقائق أو جزيئات الذهب، فأقسى المواد ما تخلوا من المسام، ونستدل بهذه الخاصية أن دقائق المادة لا

(129) المصدر السابق (6).
(130) الميكانيكا الابتدائية للمدارس الثانوية، محمد أمين لطفي (44).
(131) (الخاصية) سقط في بعض الكلمة، أثبتها في الأصل (الخاصة) والصواب ما أثبتناه.
(132) ينظر: كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة (7).
(133) سوف يأتي الحديث عن بناء المادة وحقيقتها، ينظر صفحة (28-32) من هذا البحث.

تلتصق بعضها ببعض التصاقًا تامًا، بل تواجد أخيلة بين الدقائق تسمى مسامًا، وستعلم في بحث المادة أن هذه الدقائق لا تستقر أبدًا، بل تكون في حركة مستمرة، ومع وجود المسام وحركة الدقائق تتماسك أو تلتصق الدقائق بقوة شديدة في الأجسام الصلبة بحيث أننا إذا أردنا أن نحول قطعة من الحديد الصلب إلى الدقائق بسحقها لزم علينا أن نستعمل قوة خمس وعشرون طن أو خمسة وخمسون ألف رطل، وقد أثبت بعض الطبيعيين مسامية السوائل بهذا الامتحان، فلو أخذت قارورة وملئت ثلثها بحامض الكبريتيك، ثم ثلثها ماء ورُجَّت صعدت فيها درجة الحرارة، وبعد برودتها يشغل حجم السائلين المختلطين حيزًا أقل من الذي أشغلاه قبل الامتزاج، ولكن أقوى آلات الضغط لا تصغر حجم السائلات إلَّا قليلًا جدًا[134] كما سيأتي.

بناء المادة وحقيقتها:

قد تقدَّم أن المادة مؤلفة من أجزاء في غاية الصغر تسمى دقائق، تفصلها مسافات في نهاية الصغر تسمى المسام الجزئية، ودقيقة كل جزء منه هو أصغر جزء منه يمكن وجوده على حالة الانفراد، ولكن الدقيقة هي أكبر من الذرة فالدقيقة تحتوي على ذرات، فالذرة إذًا هي أصغر[أجزاء][135] المادة، وهي النهاية الصغرى للأجسام[136].

وقد استنتج من الظواهر الطبيعية أن دقائق الأجسام في حركة سريعة دائمة، وتزيد سرعتها تبعًا لازدياد درجة حرارتها، وأن زيادة سرعة حركة دقائقها هي التي تجعلنا نحسن بزيادة درجة الحرارة حين مسها، وما الحرارة إلا حركة سريعة للجزيئات أي الدقائق أو الذرات، وكلما كانت الحركة أسرع كان الجسم أشد حرارة، وفي النار العادية توجد حركة جزئية كبيرة تنتقل إلى ذرات المحرك الموضوع في النار حتى إذا ما لمسناه زادت بسرعة حركة جزئيات أصابعنا فنشعر بالحرارة[137]. قال العالم الشهير الأستاذ تهومسن[138] في كتابه إنكليزي المسمى بـ "ملخص العلم": لو كان عندنا مجهر سحري يرينا تركيب المادة لشاهدناها مبنية من الذرات، والذرات لا توجد إلا مركبة من ذرتين وأكثر، وتسمى هذا المركب بالدقيقة أو الجزئي، ومتى انحلت هذه الدقيقة إلى ذرات، فهي تتطلب دائمًا الاتحاد مع ذرات أخرى من جنسها أو من جنس آخر، فإذا اتحدا ثلاث ذرات من الأكسجين معًا ينتج من اتحادهما دقيقة من الأوزون، وكذلك إذا اتحدت ذرة من الأكسجين بذرتين من الهيدروجين ينتج من اتحادهما دقيقة من الماء الصرف، فالمواد كلها مركبة من الدقائق أو الجزئيات، والدقائق مركبة من الذرات، فإذا شبهنا الدقيقة بعمارة نشبه الذرة بلبنة، والدقائق والذرات تتحرك بحركة شديدة دائمًا ولا تستقر أبدًا، أي أنها تكون دائمًا مضطربة اضطرابًا شديدًا، وبما أن الدقائق لا تُرى بالعين أو بأقوى مجهر "ميكرسكوب" لهذا يتعذر النظر إلى حركتها مباشرة، وقد قُدِّر بحساب دقيق متوسط قدر الدقيقة، وقالوا: أن متوسط قطرها لا يزيد على 1/125000000، من البوصة ومما يدل على صغر الدقائق أن قمحة من المسك

(134) ينظر: كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة (8-12).
(135) (أجزاء) سقط في بعض الكلمة أثبتها المؤلف(جزاء) والصواب ما أثبتناه.
(136) ينظر: المادة والطاقة "من سلسلة إعجاز القرآن"، خالد فائق صديق العبيدي (17/2).
(137) دائرة المعارف، بطرس البستاني (469/6).
(138) هو جوزيف جون تهومسن، ولد عام (1856م)، عالم فيزيائي انجليزي، أول من اقترح أن إحدى الوحدات الأساسية كانت أصغر بأكثر من 1000 مرة من الذرة، توفي سنة (1940م). ينظر: موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالميين، عزيزة فوال بابتي (43/3).

تضوي غرفة كاملة لمدة سنين عديدة، ولا ينقص من مقدارها حتى جزء من مليون جزء من القمحة في سنة كاملة، وبما أن دقيقة من المادة تحتوي على ذرات عديدة، فكم تكون مقدار الذرة؟ قيل: أن بوصة واحدة من الخط المستقيم تسع 400000000 ذرة، ومع صغرها كل ذرة من المادة تحتوي على قوة هائلة؛ لأنها تهتز وتدور دائمًا بقوة هائلة، فقطعة من الحديد أو من اللبنة أو عزش واحد من العزوش[139] تحتوي على كميات عظيمة من القوة؛ لأنها تحتوي على ذرات عظيمة من الذرات المتحركة لأدراك هذه القوة الهائلة ينبغي لنا ندرس كيفية تحول القوة من المواد المشعة كالراديوم، ولنقدم لك أمثلة أولًا تدل على انتشار جزئيات المادة بسرعة هائلة، فإذا وضعنا قمحة من النِّيل في كأس ماء نرى أنه يذوب بسرعة، وهذا يدل على انتشار جزئيات النيل في الماء، أو وضعنا قمحة من المسك في غرفة هادئة، فإنه ويتضوع وتفوح منه رائحة تملأ فضاء الغرفة بسرعة هائلة، وكذلك الغازات تنتشر في الفضاء بسرعة هائلة، ويمكن أن نقيس سرعة انتشار الدقائق والقوة الملازمة لها، [فدقائق][140] الأكسجين تسير بسرعة خمسمائة ياردة[141] في الثانية، وتنتشر دقائق الهيدروجين أسرع من دقائق الأكسجين تكون سرعتها أربعة أضعاف سرعة دقائق الأكسجين أو ثلاثة أضعاف سرعة رصاصة البندق، وتتصادم الدقائق المنتشرة بعدد دقائق أخرى بعد كل جزء من عشرين ألف من البوصة، فتنحرف عن مجراها بسبب هذه المصادمة 50000000000 مرة في كل ثانية، فلو أمكن لنا أن نوقف دقائق غاز الهيدروجين، ونستنفع بقواتها كما ما نستنفع بقوة البخار والماء الجاري لأمكن لنا أن نرفع وزن ثلث طن إلى أربعين قدم باستعمال قوة دقائق الهيدروجين البالغ مقداره غرامًا واحدًا، واحدًا فقط أي جزء من ألفي جزء من الرطل[142].

قال السير أرنست رتهر فورد العالم العلامة في الطبيعيات: بإن الطبيعيات الجديدة قد أزالت الشك عن وجود الدقائق والذرات، وبالامتحان الدقيق ثبت بالتحقيق أن المواد كلها تتركب من الذرات، وقد دلت بعض الأبحاث العلمية أن الذرات لا يمكن أن تستقر أبدًا حتى في المادة الصلبة التي تبدو عديمة الحركة، ولقد وصل كبار العلماء إلى جعل هذا الاضطراب والحركة يبطئ كثيرًا جدًا، ولكنهم لم يصلوا إلى إيقافه؛ لأن هذه الحركة ما هي إلا الحرارة، والمادة لا يمكن لها أن تفقد حرارتها بالكلية، ففي قطعة الثلج مثلًا يوجد مقدار عظيم من الحرارة، وهي لا تظهر عادة؛ لأنها لا تنتقل إلَّا إذا وجدت بجوارها جسم أبرد من الثلج، فحرارة النار مدركة بسبب برودة ما يحيط بها من الأجسام، وبما أن الذرات أو الدقائق لا تُرى بالعين ولا بأقوى مجهر "ميكرسكوب"؛ لصغرها لهذا لا يمكن النظر إلى حركتها مباشرة، ولكن مستر برون قد توصل بطريقته إلى الاستدلال على حركة الجزيئات والدقائق، فإنه علق جسيمات صغيرة صلبة في السائل فرآها مضطربة بمجهره القوي بسبب ارتطامها بدقائق السائل المضطربة، واستدل بحركتها على حركة

(139) العزوش: مفرده العزش، والعزش ركن الشيء ومن البيت سقفه والخيمة والبيت الذي يستظل به، والعزش شرعًا: هو الذي سماه الحكماء فلك الأفلاك، قال زهير: والمسظل بشرة ونحوها. ينظر: محيط المحيط، بطرس البستاني (1/6-9).
(140) (دقائق) أثبتها في الأصل (دائق) سقط بعض الكلمة والصواب ما أثبتناه.
(141) ياردة: مقياس طوليّ يساوي 3 أقدام أو 36 بوصة، أو يُقدَّر بنسبة 32 إلى 35 من المتر 91.44 سم. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (3/ 2506).
(142) دائرة المعارف، بطرس البستاني (470/6).

الدقائق والذرات، وهناك دلائل أخرى تثبت حركة الذرات والدقائق، وقد ثبت بالطرق العلمية بأن الذرة تتركب من نواة محملة كهرباء موجبة تسمى بروتون، ومن هبآت محملة كهرباء سالبة تسمى الكترون، وبين الكهرباء الموجبة والسالبة تعادل تام بحيث تحفظ، ثم إن الأبحاث الحديثة في بناء الذرة دلتنا على أن البروتونات والالكترونات ليست بأشياء مادية كما كانت تحسب سابقًا، بل هي نوع من الطاقة تولد أمواجًا، أو هي تتصرف كأنها أمواج[143].

فقد ذهب الأستاذ شرودبخر[144] إلى أن الكون لا يتألف من الكترونات، بل من موجات وأن الذرة لابد أن تعتبر مجموعة موجات كهربائية، ويقول العالم جنيز: أن الكون المادي كله يتألف من موجات ولا شيء غير الموجات، وهذه الموجات نوعان معبأة وهي تلك التي نسميها إشعاعًا أو ضوءًا، ويعود هذا الرأي بالكون كله إلى أنه عالم من الضوء، وتكون قصة خلق هذا العالم محصورة في أن الله تبارك وتعالى قال ليكن نور قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82]، قال الأستاذ أحمد فهمي[145]: لم نصل حتى اليوم إلى حل وافٍ يفسر لنا لغز البناء الذري، لأن الذرة لا يمكن أن ترى أبدًا، لأن الموجة الضوئية هي أكبر منها فلا تستطيع تناول الذرة أو كشفها، فهي أكبر من الذرة ألف مرة، ولذا فهي تطغي عليها كما تطغي موجة البحر الثائر على سارية صغيرة منفردة تعترض سبيلها فلا تكترث لها، وكذلك لا تكترث الموجة الضوئية لذرة واحدة، فلا نراها بأقوى مجهر "ميكرسكوب" وقد ثبت الآن بعد استكشاف المواد المشعة كالراديوم واليورانيوم بأن استخدام الأجسام إذا صدر عنها اشعاعات قوية، فإن ذلك يقلل من مادتها فإن صدور الأشعة من الراديوم واليورانيوم ينجم عنها نقص في كمية مادتها، فهذه الظاهرة تدل على أن المادة تتحول إلى أشعة، وقد كان المظنون أن المادة لا تنعدم، ولكن الآن ثبت بأنها تتحول من مادة إلى أشعة، وهذا يعد تطورًا هامًا في آرائنا عن المادة، هذا وقد أرانا الله آياته الباهرة التي تدل على وجوده في تكوين المادة، فإذا سألتهم كيف تتجمع الذرات وتتماسك مع [كركتبها] أو اضطرابها الشديد ووجود قوة الجذب والدفع؟ فيكون أحسن رد على هذا السؤال هو ما فاه به العلامة السير أوليفر لودج[146] أمام الجمعية العلمية البريطانية سنة 1923م وهو أننا لا نستطيع أن نعلل السبب الذي من أجله إذا أمسكنا بطرف عصا ورفعناه ارتفع الطرف الآخر[147]، وقد قال سبنسر: أننا لا نستطيع أن نأتي بقطعة من المادة يظهر فيها أن جزء يجذب آخر في حين أنه يدفعه، ومع هذا فإن الاعتقاد بذلك الزامي ضروري، فتكوين المادة هو من الأمور الغامضة التي لم تبلغ عقولنا

(143) دائرة المعارف (6/470-471).
(144) إرفين شرودبخر، ولد عام (1887م)، فيزيائي نمساوي معروف بإسهاماته في ميكانيكا الكم وخصوصاً معادلة شرودنجر والتي حاز عبرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1933م، وفد توفي سنة (1961م). ينظر: تاريخ الأفكار "دوائر الفكر الحديث"، ماجد الحمدان (116).
(145) الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أمين عام الجمعية المصرية للبحوث الروحية، وقد أصدر مجلة عالم الروح وهي الناطقة باسم الروحية الحديثة (وهي دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة تدعي استحضار أرواح الموتى)، وقد بدأ نشاطه منذ سنة 1937م وقام بترجمة كتابي جيمس آرثر فندلاي، وباورز. موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين (44).
(146) السير أوليفر لودج من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالرياضيات والطبيعيات، وقد لا نبالغ إذا قلنا بأنه من كبار علماء العصر الحاضر في أنحاء الدنيا كلها، فإن آثاره في العلوم الرياضية وابتكاراته الكثيرة في علم الفيزيقا مما يتوج به البحث العلمي في هذا الزمان، هذا ما توحي إليك به نظرتك في سير لودج إذا اعتبرت جهوده العلمية الصرفة، أما إذا نظرت فيه كفيلسوف نزل إلى الدرك الأسفل من الفلاسفة الذين يعتقدون بكثير من الأساطير التقليدية التي لا يؤيدها العلم ولا يقبلها. في النقد الأدبي، إسماعيل مظهر (101).
(147) قصور العلم البشري "استعراض لآراء رواد العلم الحديث ولعلماء مسلمين"، قرطاس قيس (26).

إلى كنهها[148]، وقد قال الله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 52]

وفي رواية إشارة إلى هذه الآيات الباهرات بعجز العقل الإنساني في إدراك حقائقها، قال الفيلسوف العظيم هكسلي[149]: "إن الطبيعة تبسط أمامنا قضايا كثيرة وتطلب منا حلها، فإذا شرعنا نتأملها وجدنا أنفسنا أننا من الذين يدرون معارف الإنسان، فالنقص بيننا ملازمهما شحذ الإنسان قريحته، ومهما زادته السنون حنكة وخبرة"[150]، قال العالم البحاثة [إسماعيل][151] مظهر: "إن كلما كشف للباحثين عن سر ألفوه محاطًا بأسرار ومغمضات، فهم إن تقدموا نحو العلم خطوة سعوا إلى الجهل خطوات"[152].

الخاتمة:

الحمد لله على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، والشكر له على توفيقه وامتنانه، على أن وفقني لإكمال هذا البحث، ومن خلال هذا العمل توصلت إلى أهم النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أ-النتائج:

1-السلطان صالح بن غالب القعيطي يعتبر من كبار علماء حضرموت الذين جمعوا بين العلم والسياسة.

2-كتاب: (الآيات البينات على وجود خالق الكائنات) حافل بالمعلومات القيمة والمتنوعة، بما حواه من مسائل وإضافات مهمة.

ب- التوصيات:

1-أوصي الباحثين بالاهتمام بكتب أصول الدين، ودراستها وتحقيقها حتى يستفاد منها وترى النور.

2-للمؤلف مخطوطات أخرى لم تحقق، أوصي الباحثين وطلبة العلم بالوقوف عليها ودراستها وتحقيقها.

أولًا: قائمة المصادر والمراجع العربية:

*القرآن الكريم.

[1] آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، دار صادر_ بيروت.

[2] إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.

[3] أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، دار الفكر – بيروت، 1409هـ - 1989م.

[4] الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م.

(148) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر (63).
(149) جوليان هكسلي، ولد سنة (1957م)، عالم بيولوجيا تطوُّري وأخصائي تحسين نسل بريطاني، يعتبر من أبرز داعمي الانتقاء الطبيعي، ومن الشخصيات الرائدة في علم التطوُّر في منتصف القرن العشرين، كان أمينًا لجمعية علوم الحيوان بلندن، وأول مدير لمنظمة اليونيسكو، وعضواً مؤسِّساً في الصندوق العالمي للحياة البريَّة، وأول رئيس للجمعيَّة الإنسانيَّة البريطانيَّة، من مؤلفاته: الوسائل والغايات، بعد عدة أطياف، العالم الطريف، توفي سنة (1887م). ينظر: الإنسان في العالم الحديث، جوليان هكسلي، ترجمة: حسن خطاب (5).
(150) المقتطف، يعقوب صرُّوف، وفارس نمر (144/32).
(151) (إسماعيل) أثبته في الأصل (محمد) والصواب ما أثبتناه، لعله سهو من المؤلف.
(152) ملقى السبيل، إسماعيل مظهر (46).

[5] الأعلام من الفلاسفة "فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات"، تأليف الدكتور: فاروق عبد المعطي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ- 1994م.

[6] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ- 2004م.

[7] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة الأولى_1418هـ.

[8] أينشتاين "حياته وعالمه"، تأليف: والتر إيزاكسون، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: مجدي عبد الواحد عنبة، سامح رفعت مهران، كلمات عربية للترجمة والنشر، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 1413هـ-2010م.

[9] البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408هـ_1988م.

[10] بسائط علم الفلك وصور السماء، يعقوب صروف، مؤسسة هنداوي، 2017م.

[11] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان_ صيدا.

[12] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[13] تاريخ الأفكار "دوائر الفكر الحديث"، ماجد الحمدان، إصدارات سيبويه للطباعة والنشر الرقمي، جميع الحقوق محفوظة.

[14] تاريخ حضرموت السياسي، صلاح محمد البكري، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية،1375هـ_1956م.

[15] تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ_ 1998م.

[16] تاريخ العلم (1543-2001)، تأليف: جريبين جون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

[17] تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

[18] ثورية العلماء، هشام بشارة غصيب، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2023م.

[19] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م.

[20] جهود فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي، محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان_ الأردن.

[21] حضارة العرب، تأليف: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، 2020م.

[22] دائرة المعارف "قاموس عام لكل فن ومطلب"، بطرس البستاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1998م.

[23] دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1971م.

[24] درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1411هـ- 1991م.

[25] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

[26] ديموقريطوس، موسوعة ستانفورد للفلسفة ترجمة: محمد أبو شعبان، مراجعة: مصطفى الحفناوي، الحكمة، 2016م.
[27] ديوان معروف الرصافي، معروف الرصافي، مراجعة: مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، 2014م.
[28] الرحلة السلطانية للجهة الغربية من المملكة الحضرمية (دوعن)، للسلطان صالح بن غالب القعيطي اليافعي، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الثانية، 2007م.
[29] سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ_ 1985م.
[30] شرح المصطلحات الفلسفية، تأليف: مجمع البحوث الإسلامية الأستانة الرضوية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، 1414هـ.
[31] الشيخ القدَّال باشا معلم سوداني في حضرموت، ومضات من سيرته(1903–1975م)، محمد سعيد القدَّال، آفروجراف للطباعة والتغليف، الخرطوم، السودان، الطبعة الثانية، 2005م.
[32] صفة جزيرة العرب، تأليف: ابن الحانك الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بالهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، 1410م.
[33] صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، المطبعة السلفية، القاهرة، 1378هـ.
[34] 34– طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ.
[35] الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1990م.
[36] على حافة العالم الأثيري، أو الحياة بعد الموت تفسر تفسيرًا علميًا، ج. آرثر فندلاي، ترجمه إلى العربية: أحمد فهمي أبو الخير، مجلة الابتسامة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1945م.
[37] عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي (1936–1956م)، محمد سالم باحمدان، مطبعة وحدين، المكلا، الطبعة الأولى، 1429هـ–2008م.
[38] الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، 1381هـ–1961م.
[39] فلسفة ابن رشد، فرح أنطون، مؤسسة هنداوي، 2017م.
[40] الفلك الحديث في عجائب السموات والأرض، عبد اللطيف أبو الوفاء، أرشيف الإسلام.
[41] الفيزيقا الحديثة حاضرها ومستقبلها، أحمد فهمي أبو الخير، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
[42] في سبيل الحكم خمسون عامًا من التناحر السلاطيني الذي أدَّى إلى فرض الحماية البريطانية على حضرموت، محمد عبد القادر بامطرف، دار حضرموت للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2008م.
[43] في النقد الأدبي، إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة.
[44] قصة الفلسفة اليونانية، زكي نجيب محمود، وأحمد أمين، مؤسسة هنداوي سي آي سي، جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة، 2017م.
[45] قصور العلم البشري "استعراض لآراء رواد العلم الحديث ولعلماء مسلمين"، قرطاس قيس، راجعه: د. زغلول النجار، الطبعة الأولى، 1419هـ.
[46] كتاب الإسلام ماضيه وحاضره، وفيه ترجمة حياته وما لاقاه من الألم في سبيل الدين والدفاع عن عقيدته، عبد الباقي سرور نعيم، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر.
[47] كتاب العروس البديعة في علم الطبيعة، شدودي أسعد، جامعة طبعة بيروت، سنة 1973م.
[48] كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت– 1419هـ/ 1998م.
[49] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق:

الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ _2002م.

[50] الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي، دار الأندلس.

[51] لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت_ لبنان، الطبعة الثانية، 1390هـ _1971م.

[52] المادة والطاقة "من سلسلة إعجاز القرآن"، خالد فائق صديق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1974م.

[53] محاضرات في الفلسفة اليونانية ابتداء من سقراط، منى عبد الرحمن المولد، مطبعة السلام.

[54] محيط المحيط، بطرس البستاني.

[55] مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

[56] معالم تاريخ الجزيرة العربية، سعيد عوض باوزير، مكتبة الثقافة بباب السلام، مكة المكرمة.

[57] معجم أعلام يافع، سالم عبد الرب السلفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م.

[58] معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م.

[59] المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

[60] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م.

[61] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب_ القاهرة_ مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ_ 2004م.

[62] مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي_ بيروت الطبعة الثالثة،1420هـ.

[63] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى: 1408هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة 1422هـ_2001م.

[64] 64-ملقى السبيل في مذهب النشؤ والارتقاء، وأثره في الانقلاب الفكري الحديث، إسماعيل مظهر، حقوق الطبع محفوظة للناشر والترجمة للمؤلف، 1990م.

[65] ملوك حيدر آباد تاريخ المملكة القطب شاهية في الهند، محمد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، 2005م.

[66] موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالميين، عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.

[67] موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الدكتور: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية،١٩٩٩م.

[68] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ _ 1963م.

[69] الميكانيكا الابتدائية للمدارس الثانوية، محمد أمين لطفي، مكتبة المعارف، 2009م.

[70] الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث_ بيروت، 1420هـ-2000م.

[71] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر_ بيروت.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

[1] McLeisch, Kenneth Cole (1999). Aristotle: The Great Philosophers. Routledge. P.

[2] Arthur Findlay MBE jp, 2018.